الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
جامعة عبد الحميد إبن باديس / مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم الدراسات اللغوية
التخصص : تعليمية اللغات

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

UNIVERSITE
Abdelhamid Ibn Badis
MOSTAGANEM

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تحت عنوان :

أثر الدرس اللغوي العربي القديم في النظريات الحديثة

من إعداد الطالبة:
بينين عائشة

تحت إشراف الأستاذة:
قديري جميلة

السنة الجامعية: 2019/2020 م
1440/1441 هـ

بسم الله الرحمان

الرحيم

إنّ اللغة ظاهرة إنسانية عامة تؤدي وظائف مشتركة في المجتمعات الإنسانية على اختلافها وعني بها كثير من الفلاسفة والعلماء قديما وحديثا، عربا وعجما، فدرسوا طبيعتها ووظيفتها الاجتماعية وعلاقتها بالنفس الإنسانية، فتعددت رؤاهم وكثرت دراساتهم، وقد شهد القرن العشرين بروز علم صرف اهتمامه إلى اللغة، إذ عدّها إحدى الظواهر الطبيعية التي يمكن إخضاعها للتقنين العلمي، وقد أطلق على هذا العلم "اللسانيات".

كان اهتمام الغربيين بهذا العلم في الوقت الحاضر بيناً من خلال المجهودات المثمرة في هذا الحقل اللغوي، ومن هنا جاز لنا أن نتساءل: أليس في تراثنا العربي ما يمكن أن يقف جنبا إلى جنب مع ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة؟ أو بمعنى آخر أليس عند العرب القدامى لسانيات؟ ثم أليس لبعض نظرياته (علم اللسانيات) صلة قوية بجذور الفكر اللغوي العربي؟

لطالما أثار هذا الأمر اهتمامي أثناء تلقي الدروس والمحاضرات، ولعل أهم دافع لاختيار هذا الموضوع هو محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات، فإن قراءة معمقة واعية للموروث اللغوي العربي يبين بشكل واضح مدى صلته القوية باللسانيات الحديثة، فليس كل ما أقره هذا العلم جديد كل الجدة، وفي تراثنا العربي إشارات واضحة إلى كثير من القضايا اللغوية في التفكير اللساني الحديث، ولعل أهم الدراسات المبكرة التي أولت عناية للغة العربية تلك التي تبناها الغربيون في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ تتنزل جلها في سياق الاعتراف بفرادة البناء اللساني العربي فـ "إرنست رينان" –مثلا– يذكر في كتابه "تاريخ اللغات السامية" «أنّه من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، وصعب حل سره، انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة

ثم بدأت فجأة في غاية الكمال، سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها إلى يومنا هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، ظهرت لأول أمرها مستحكمة، ولم يمض على الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى، ومن أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرحل، تلك اللغة فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها، وحسن نظامها».

من هذا المنطلق، ارتأيت أن يكون موضوع بحثي "التراث اللغوي العربي في ضوء النظريات اللسانية الحديثة"، وحاولت أن أجيب من خلاله على بعض الإشكاليات والأسئلة التي تتمثل في: ما هي آثار العرب القدامى اللغويين في الدراسات الحديثة؟ هل استفاد اللسانيون المحدثون سواء من العرب أم من الغرب من تراثنا اللغوي القديم؟ وما هي الآثار القيمة للدرس اللساني الكلاسيكي العربي التي أصبحت أساساً لنظريات حديثة متعددة ومختلفة الرؤى؟ وهل تكررت الرؤى القديمة عند "ابن جني" و"الجرجاني" و"ابن سينا" و"ابن خلدون" في دراستنا اللغوية الحديثة؟

للإجابة على هذه الأسئلة حاولت أن أطلع على كثير من المؤلفات والدراسات منها "الدراسات اللغوية عند العرب-إلى نهاية القرن الثالث" لـ "محمد حسين آل ياسين" و"منهج البحث اللغوي(بين التراث وعلم اللغة الحديث)" لـ "علي زوين" و" أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب (ونظريات البحث اللغوي الحديث)" لـ " حسام البهنساوي" وغيرها...

لذلك كان موضوع رسالتي وفق الخطة الآتية: مقدمة، فصل أول حاولت في ثناياه استرجاع البواكر الأولى للدراسات اللغوية عند العرب، وبحث موضوع الأصالة والتأثر في دراساتهم والأسس المنهجية التي اعتمدوها في دراساتهم للغة وختمت هذا الفصل بعقد بعض الموازنات بين موضوعات الدراسات اللغوية القديمة والموضوعات الحديثة، أما الفصل الثاني فتناولت فيه أهم النظريات اللسانية الحديثة وأهم المدارس الغربية ونقاط تقاطع هذه النظريات مع الدرس اللغوي العربي، وختمت هذه الرسالة بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد اعتمدت لهذه الخطة المنهج التاريخي عندما أرخت لنشأة النحو والدراسات اللغوية بصفة عامة وتأليف المعاجم والرسائل المختلفة، كما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع آراء العلماء سواء من العرب أو من الغرب وحصرها وتحليلها.

وأثناء قيامي بهذا البحث واجهت بعض الصعوبات منها: ضيق الوقت فنحن ملزمون بالقيام بهذا البحث في آجال محددة، صعوبة تحليل بعض المواد في الكتب التراثية ودراستها وكذلك قلة الكتب في مكتبة الجامعة، كما أنّ محاولة الإلمام بموضوع متشعب بهذا الحجم أمر صعب التحقيق وقد حاولت تسليط الضوء على بعض النقاط فقط.

وأخيرا فهذه المذكرة عبارة عن جهد متواضع لا أدعي فيه الإتيان على جميع العناصر، وإن كنت قد أصبت فقد كان ذلك بفضل الله وتوفيقه وإن كان غير ذلك فالكمال لله وحده.

وقبل كل هذا أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "محمد عرباوي" على مساعدته المتواصلة ونصحه وتوجيهه طوال فترة البحث كما أتوجه بالشكر إلى كافة أساتذة القسم وعمال المكتبة وكل

من ساعدني في إعداد هذا البحث.

الفصل الأول:

ملامح الدرس اللغوي العربي

كانت اللغة العربية مستقرة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام يملكها أهلها ويتصرفون فيها كيفما يشاؤون، وكان لهم فيها ضروب من الافتنان في اختيار الألفاظ والتراكيب حتى بلغوا فيها مبلغا عظيما، وكان نزول القرآن بأسلوبه المعجز تحدياً لهم فيما تفوقوا فيه.

ولم يكن للعرب درس كغيرهم من الأمم السابقة كاليونان والفرس وغيرهما إلا بعد نزول القرآن، فقد احتاجوا مع نزوله معرفة معاني ألفاظه حتى يتم لهم فهم آياته، وكان طلبهم لمعاني هذه الألفاظ عند مختلف القبائل العربية وبالخصوص في أشعارها التي جسدت صور الحياة في شبه الجزيرة قبل الإسلام.

ويوضح ذلك أن نشأة الدرس العربي كان مصاحبا لنزول القرآن والسعي إلى حفظه وطلب فهمه لأنه أصبح كتاب شرعهم، ويبدو أن كثيراً من المحاولات الأولى للدرس اللغوي التي تمت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطة بالدين والعقيدة،«نجد هذا عند الهنود الذين بدؤوا بحثهم اللغوي لخدمة نصوصهم المقدسة (الفيدا)، ومثل هذا نجده عند الصينيين إذ كانت دراسة النصوص البوذية وغيرها سببا في نشأة المعاجم الصينية، وكذلك كانت دراسة الشعر الحماسي والديني في اليونان دافعا للتأليف اللغوي، وبدأت دراسة اللغة والنحو في العبرية لخدمة الكتاب المقدس».[1]

ومن دواعي الاهتمام بالعربية أيضا حرص بعض أبنائها المتحمسين لها على إظهار جمالها ودقتها وفصاحتها في معالجة وكشف أسرارها في البنية والأسلوب رغبة في تعلمها وإتقانها، يقول

[1] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1971م، ص78

"ابن جني" في ذلك:«لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا عن التقديم بها، والتنويه منها».[1]

ولما كان القرآن الكريم هو الحافز الأكبر لنشأة الدراسات العربية عموماً، كان من الطبيعي أن تنشأ هذه الدراسات مختلطة متداخلة، فقد ظهر علم التفسير وعلم الحديث والفقه والقراءات واللغة والنحو والصرف والفلسفة وعلم الكلام والمنطق والمعاني وغيرها من العلوم في أوقات متقاربة جدا ولأسباب مشتركة، تقف على رأسها خدمة القرآن أحكاما ولغة وإعجازاً، وصرنا نرى مفسراً لغويا وفقيها محدثا ومقرئاً نحويا وهكذا...

1/أوليات الدرس اللغوي عند العرب:

لما اتسعت الدولة الإسلامية دخل الناس في دين الله أفواجاً، ولما دخل في الإسلام غير العرب وخفي عليهم بعض أساليب القرآن الكريم وأعاريبه ومعاني بعض ألفاظه، بدأ الفساد يدب في لغة العرب، واتسعت الهوة بين الفصحى والعامية، فخرج اللغويون لجمع المادة من أفواه العرب الأقحاح لأسباب عدة أهمها:

1-عوامل جمع اللغة:

أ-**العامل الديني:**وهو العناية بلغة القرآن الكريم وخدمتها، حيث اجتهد العلماء في شرح ألفاظه ليتمكن العرب والأعاجم من فهم النصوص الدينية، ولقد بدأ المسلمون بما هو عملي قبل الوصول إلى منهج نظري فكانت قراءة القرآن عن طريق التلقي أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات.

[1] ابن جني، الخصائص، تح:علي التجار، دار الكتب، مصر، ط3،ج1، ص242

ب-اللحن اللغوي:تفشت ظاهرة اللحن بعد دخول الأعاجم إلى الإسلام، وهو انحراف كلام العرب عن قواعد النحو والصرف ويحصل ذلك في عدة مواضع هي:[1] اللغة، الإعراب، الفطنة، المعنى والفحوى، التعريض والإيماء، ترجيع الصوت والغناء.

«وقد قيل أن أول لحن سمع بالبادية (هذه عصاتي) وإنما هي (عصاي)،قال تعالى:(هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا) طه آية 18»[2].

حين فشا اللحن وقويت شوكته كان لابد من مقاومته و صيانة اللغة العربية وحماية القرآن الكريم والحديث الشريف، فكانت بذلك أول خطوة خطاها العلماء في هذا الطريق هي نقط القرآن وشكله وقد مرت عملية نقط المصحف بمرحلتين:[3]

-أولاهما: ما قام به "أبو الأسود الدؤلي" وانصب على تمييز الحركات بالنقط وهو مخترع ذلك، قال "السيوطي":«وأبو الأسود أول من نقط بالمصحف».

-ثانيهما:ما زاده "نصر بن عاصم"(ت89هـ) على ما استحدث أبو الأسود نقط الإعجام وهو وضع النقط على الحروف المتشابهة للتفريق فيما بينها، وواصل العلماء العرب استنباط قواعد لحفظ اللسان وإعراب الكلام فنشأ بذلك النحو العربي.

ولقد بدأ علم اللغة عند العرب بتدوين مفردات اللغة وجمعها، وكانت الغاية الأولى من ذلك فهم القرآن الكريم وشرح ألفاظه «فظهرت مؤلفات كثيرة وهي رسائل تجمع المفردات اللغوية المتعلقة

[1] محمد عبد الله ابن التمين، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي،2008 م، ط1، ص18-21

[2] المرجع نفسه، ص33-34

[3] المرجع نفسه ، ص50

بموضوع واحد مثل كتب:"خلق الإنسان"، و"الخيل" و"الإبل"، و"النبات"، و"الشجر" نجد هذا في أخبار "الأصمعي"و"أبي زيد" و"قطرب" وغيرهم، وإلى جانب هذه الرسائل الخاصة نجد كتبا في غريب القرآن وغريب الحديث وفي نوادر اللغة لهؤلاء اللغويين أنفسهم»[1]، وقد كانت هذه المؤلفات كلها نواة للمعاجم الكبيرة.

2- نشأة النحو:

إنّ المتصفح لكتب الرواة والمؤرخين يصل إلى حقيقة نشأة النحو ليجد اضطرابا في الرواية،فلو أخذنا كتابا واحدا كـ"نزهة الألباء" لـ "ابن الأنباري" (ت577هـ) وجدناه يشتمل على عدة روايات مختلفة في هذا الموضوع ،يقول:«إنّ علياً-Z-هو الذي وضع النحو لما سمع أعرابيا يقرأ آية:[لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ]الحاقة آية 37،ويقول:(لا يأكله إلا الخاطئين) فوضع النحو»[2].

ومرة أخرى يجعل من "علي" مصدرا لمقاييس هذا العلم و اصطلاحاته ويشترك معه في هذا الجهد العلمي "أبو الأسود الدؤلي" فيقول: روى "أبو الأسود" قال: «دخلت على أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب" عليه السلام فوجدت في يده رقعة فقلت:ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال:إني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم

[1] محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ط2، ص24-25

[2] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح:إبراهيم السامرائي، بغداد، 1970، ط2، ص07

فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه،ثم ألقى إلي الرقعة وفيها الكلام كله اسم وفعل وحرف...وقال لي:انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك...»[1].

وفي رواية ينسب نشأة النحو إلى "عمر بن الخطاب"-Z- فيقول: «قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب"-Z - فقال:من يقرئني شيئاً مما أنزل الله تعالى على "محمد"T "محمد"T فأقرأه رجل من سورة براءة (التوبة):(أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة آية0031، بكسر اللام عطفاً على المشركين فقال الأعرابي: إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه، فبلغ "عمر" مقالة الأعرابي...فصحح له الآية وأمر ألا يُقْرِئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر "أبا الأسود" أن يضع النحو»[2]0.3

وفي رواية أخرى تفرد "أبو الأسود" بوضع النحو دون أن يشاركه أحد فيه، فقد قالت له ابنته: « ما أحسنُ السماء»، فقال:« نجومها»، فقالت:« إني لم أرد هذا وإنما تعجبت من حسنها»، فقال لها:« إذا قولي ما أحسنَ السماء»، فحينئذ وضع النحو، والغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها « هي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ»[3].

وهكذا نشأت حركة نحوية في بيئة عربية مقاومة لآثار الوباء اللغوي (اللحن)، كان قائدها "أبو الأسود" وتلامذته من بعده، ثم ما لبث نطاقها يتسع، وكانت البداية جمع اللغة ورواية الشعر من البوادي والأعراب فظهرت المدارس النحوية واللغوية التي تشير إلى ظهور اتجاهات في دراسة

[1] المرجع نفسه، ص08-09

[2] المرجع السابق، ص19-20

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص13

النحو العربي لها سمات محددة قد تتفق أو تختلف مع مثيلاتها من المدارس أو المذاهب الأخرى، فما هي سمات كل مدرسة لغوية؟ وما هي أوجه الاختلاف الأصلية بين هذه المدارس؟

أ-مدرسة البصرة: تعتبر البصرة بحق«واضعة النحو، وفاتحة أبوابه فقد كانت مولد النحو ومهده»[1]، ويكاد يجمع الباحثون على أن أول من نسبت إليه آراء نحوية في كتب النحو "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي"(ت117هـ) فهم يقولون أنه كان أعلم أهل البصرة في وقته، وكانت له آراء واجتهادات، فقد روى "الزبيدي" في كتابه "طبقات النحويين واللغويين" :«إنّ أول من بعج النحو ومدّ القياس و شرح العلل هو عبد الله بن أبي إسحاق»[2].

ومن أشهر النحاة في المدرسة البصرية "أبو الأسود الدؤلي" (ت69هـ)، "نصر بن عاصم الليثي" (ت89هـ)، "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" (ت117هـ)، "أبو عمر بن العلاء" (ت154هـ)، "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ)، "سيبويه" (ت180هـ)، "يونس بن حبيب" (ت182هـ)، "الأخفش" (ت211هـ)، "قطرب" (ت206هـ)، "المبرد" (ت285هـ)، "الزجّاج" (ت311هـ).

*منهج البحث عند مدرسة البصرة:

[1] محمد طهطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المنار، القاهرة،1991، ص75

[2] أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984، ص31

«إنّ البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى عقلا، وطريقتهم أكثر تنظيما»[1]، وخطتهم هي الاعتماد على الشواهد الموثوق بها الكثيرة الدوران على ألسنة العرب، فاعتمدوا على القياس في استنباط الأحكام النحوية، وكانوا لا يأخذون من أهل الحضر وإنّما من أهل البادية، لأنهم كانوا على فصاحتهم ولم يختلطوا بالأعاجم، كما تأثروا بالعقل والمنطق فصاروا ينظرون في النصوص، ويعملون فيها العقل فيحاولون تفسير الظواهر النحوية بمقتضى ذلك.

ب-مدرسة الكوفة: اختلف النحاة في تحديد مؤسسها وواضع قواعدها، إلا أنّ «أكثر العلماء متفقون على أن "أبا جعفر الرؤاسي" هو مؤسس هذه المدرسة»[2]، وتعتبر المدرسة الكوفية من المدارس النحوية التي نشأت نشأة متأخرة بالنسبة لجارتها البصرة، إلا أنها أوجدت لنفسها مذهبا نحويا أصبح له قيمة في درس اللغة العربية «خاصة أن كثيراً من المحدثين قد أشادوا ببناء الصرح النحوي الكوفي وجعلوه موافقا للمنهج الوصفي الحديث للغة ومن هؤلاء: "مهدي المخزومي" في كتابه "مدرسة الكوفة"، "عبد الفتاح الحموز" في "الكوفيون في النحو والصرف" و"أحمد أمين" في كتابه "ضحى الإسلام"»[3] .

[1] أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1973م، ج2، ص296

[2] محمد الطهطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص36

[3] باسل فيصل سعد الزعبي، المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين، مجلة علوم إنسانية، العدد 41، 2009م، ص04

ومن أبرز النحاة الكوفيين وأشهرهم: "أبو جعفر الرؤاسي" (ت175هـ)، "أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي" (ت189هـ)، "الفراء" (ت207هـ)، "أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت" (ت244هـ)، "أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري" (ت328هـ).

*منهج البحث عند مدرسة الكوفة:

لقد توسع الكوفيون في السماع، فلم تكن عندهم قيود كما كانت للبصريين، فهم سمعوا و رووا عن معظم القبائل العربية باديةً وحاضرةً ويقيسون على كل ما يسمعون ويجعلونه أصلاً يبنون عليه، كما ابتعدوا عن التقدير والتأويل.

2/الأصالة والتأثر في التراث اللغوي العربي:

وجه نفر من الباحثين عنايتهم إلى طعن العرب في أصالة دراساتهم اللغوية زاعمين تأثر هذه الدراسات على اختلافها بدراسات الأمم الأخرى في مجال البحث اللغوي، محاولين أن يجدوا في خبر ملفق هنا وإشارة موضوعية هناك سنداً يستندون إليه في مذهبهم.

ويجب «ألا يغرب حين نجد تشابهاً في الدرس بين أمة وأخرى، فذلك لا يعني بالضرورة وجود تأثر معين بين هاتين الأمتين، لأنه قد تتوفر لدى أكثر الأمم الظروف التي تستدعي قيام دراسة من الدراسات أو وضع تأليف من التآليف، كما أن الإبداع الابتكار ليسا وقفا على عقل دون آخر

أو شعب دون شعب، فقد تنشأ في أكثر من بقعة من بقاع الأرض دراسات يهيأ لها أن تنمو

وتنضج بعيدة عن التأثر بمثيلاتها في البقاع الأخرى»[1].

ومهما يكن من أمر فإن الدرس اللغوي العربي واجه حملة من التشكيك في نقائه من التأثر بغيره من دراسات الأمم الأخرى وذلك في الميادين الدراسية الثلاثة: علم الأصوات، والعمل المعجمي، والنحو.

1-علم الأصوات: عني "الخليل" (175هـ) واللغويون العرب من بعده، بدراسة الحروف من حيث أنها أصوات لها مخارج معينة وترتيب عمقي في الحلق، ووقفوا على آثار تمازجها وتجاورها في النطق، وقالوا بوجود الرابطة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها فبرعوا في ذلك، غير أن الدكتور/"أحمد مختار عمر" يرى أن للهنود أثراً في جوانب من هذه الدراسات فقال في الاشتقاق الكبير:« إذا كان "ياسكا" أو غيره من لغويي الهنود قد نجحوا في اشتقاقاتهم هذه فمرجع ذلك أن الجذور السنسكريتية ترجع في معظمها إلى أصل ثنائي، ولكن نقل النظرية إلى اللغة العربية كان أمراً غريبا، كما أنّ تطبيقها أظهر تكلفاً وتعسفاً نظراً لثلاثية الأصول العربية»[2].

ويقول أيضا: «لقد سبق العرب دراسة الهنود لمخارج الحروف وترتيب عمقها في الحلق، مما يدخل فيما اصطلح عليه بعلم الأصوات الوصفي»[3].

ولم يثبت أن "الخليل" عرف الهندية القديمة أو وقف على شيء من دراسات رجالها «ومع ذلك فإن دراسة "الخليل" للأصوات تختلف اختلافاً كبيراً عن دراسة الهنود لها، وبخاصة في تطبيقه

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب-إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980، ص84-85

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود، دار الثقافة، بيروت، 1972، ص143

[3] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص238

نتائج هذه الدراسة في استخلاص آثار تمازج الأصوات وتجاورها»[1]، وحتّى الترتيب الصوتي للحروف واحد وخمسون حرفاً لدى الهنود، ويختلف ترتيبها عن ترتيب "الخليل".

كما أن بعض اللغويين العرب بعد "الخليل" خالفوه في ترتيب الحروف، وأول هؤلاء تلميذه "سيبويه"، وخالفهما "ابن جني" فيما بعد مما يدل على أنّ المسألة لدى العرب اجتهادية ولم يكونوا متأثرين فيما أنجزوه من دراسة الأصوات بلغة معينة أو منهج سابق.

2-العمل المعجمي: بكّر العرب أيضا في دراستهم للمفردة العربية ووضعوا كتبهم ورسائلهم الخاصة يحصون بها نوعا معينا من الألفاظ، كرسائلهم في الأضداد، أو المترادف، أو المشترك، أو غيرها كما وضعوا معجماتهم الجامعة لألفاظ اللغة، وكان رائد المعجمات "العين" "للخليل" (175هـ) وتوالت بعده معجمات اللغويين التي تختلف فيما بينها إما بحسب المنهج أو الموضوع، إلا أنّ من الدارسين العرب أو المستشرقين من طعن في أصالة هذه الأعمال لدى العرب القدماء فمنهم من ذهب إلى التأثير الهندي مثل الدكتور/"أحمد مختار عمر"، ومنهم من ذهب إلى التأثير اليوناني كالمستشرق "بارتولد".

يقول الدكتور/"أحمد مختار عمر": «إنّ وضع العرب المبكرين لهذا النوع من المصنفات الخاصة في المترادف والمشترك كان من أثر دراسات لغويي الهنود في هذا المجال من البحث»[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص239

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي لدى الهنود، ص133

ويقول المستشرق "بارتولد": « ألف "الخليل" كتابه المذكور – أي "العين" – في خراسان، ويتضح من هذا القاموس تأثير اليونان في علوم العرب»[1].

فما الأثر اليوناني في "العين" ؟ و"الخليل" لم يعرف اليونانية ولا غير اليونانية، ولم يشر إلى إلى مواطن هذا التأثير ووجوهه أهو في الدراسة الصوتية التّي ضمتها المقدمة أم في منهج حصر حصر الألفاظ، أم في مادته اللغوية، وقد قال المستشرق "هايوود Haywood":«الحقيقة أنّ العرب العرب في مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب...، المعجم العربي منذ نشأته كان يهدف إلى تسجيل المادة اللغوية بطريقة منظمة، وهو بهذا يختلف عن كل المعاجم الأولى للأمم الأخرى، التّي كان هدفها شرح الكلمات النادرة أو الصعبة»[2].

ونورد للدكتور/ "أحمد مختار عمر" قولا يدحض به قوله السابق ذكره في كتاب آخر: «ليس هناك احتمال لوجود تأثير هندي على فن المعاجم العربية... بل العكس هو الاحتمال القائم... وليست أسبقية العرب في مجال المعاجم مقررة بالنسبة للهنود وحدهم، بل بالنسبة للعالم أجمع»[3].

والسؤال المطروح هو هل كانت للعرب في بداية الإسلام فكرة عن المعاجم، أي ذهن معجمي أم أخذوا ذلك عن غيرهم ؟

[1] بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، تعريب حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، ط3، ص39

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص138

[3] المرجع نفسه، ص237

الفكر المعجمي وجد عند العرب منذ بداية العصر الإسلامي بدليل ما روي أنّ الرسول T يُسأل عن بعض الألفاظ وكان يوضحها للصحابة، «وهذا " عمر بن الخطاب" كان يسمع قوله تعالى: (وَفَاكِهَةً وَأَبًا) فيقول هذه الفاكهة فما الأب؟ حتّى عرف أن الأب هو المرعى، وقرأ على المنبر قوله تعالى:(أَوْ يَأْخُذُهُمِ عَلَى تَخَوُّفٍ) ثم قال لسامعيه ما تقولون فيها؟ فأجابه رجل من هذيل فسأله مصداق ذلك من الشعر، وسأل "ابن عباس" في نفس الآية، فأنشدوا له قول "أبو كبير الهذلي":

تَخَوَّفَ الرَجُلُ مِنْهَا تَامِكاً قِرْداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودُ النبْعَةِ السنَنُ»[1]

فلِمَ لم تؤلف العرب المعجم وقتئذ؟ لم يكن عندهم قديما التأليف المعجمي، لأن أدوات الكتابة لم تكن موجودة عندهم، حتّى عندما جاء الإسلام كان الذّين يعرفون الكتابة في مكة يعدون على الأصابع، وكان البحث يتم فيما غمض عليهم تفسيره بسؤال العرب وحفظه شفاهة أو بالتماسه من الشعر و«تم هذا الجمع أولاً بطريقة المشافهة والحفظ، ودون منهج معين في ترتيب المادة المجموعة أو تبويبها، ثم أكثرَ العلماء من النزول إلى البادية ودونوا ما كانوا يسمعونه، وبعد ذلك اتجه أهل اللغة إلى التبويب والتصنيف والتقسيم ورد النظير إلى النظير كل بطريقته الخاصة التّي رآها»[2].

وكان أول معجم هو "العين" لـ" الخليل " (175هـ)، ثم تلاه كتاب "الجمهرة" لـ "ابن دريد" (321هـ)، و" ديوان الأدب" لـ "الفارابي" (370هـ)، و"البارع" لـ"ابن القالي" (356هـ)، و"تهذيب

[1] أحمد زلط–أحمد محمد عطا، مصادر التراث العربي، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، 2007م، ص06

[2] المرجع السابق، ص07

اللغة" لـ"الأزهري" (370هـ)، و"المحيط" لـ"الصاحب ابن عباد" (385هـ)، و"مقاييس اللغة" لـ"ابن فارس" (395هـ)، و"تاج اللغة وصحاح العربية" لـ"لجوهري" (400هـ)، و"المخصص" لـ"ابن سيده" (458هـ)...الخ

3- النحو: لم يسلم النحو العربي من مزاعم التأثر بالنحو الأجنبي، فقد شكك عدد من الدارسين المستشرقين وأنكروا أن يكون النحو من وضع "أبي الأسود الدؤلي" أو حتّى غيره من العرب لأنه من صنع اليونان أو الفرس والقليل منهم من يسلم بصحة وضع النحو على يد العرب، فتبعهم في ذلك عدد من أبناء العرب المحدثين من أمثال "إبراهيم البيومي" و"جرجي زيدان" وهم يصدرون في ذلك عن رأي شائع عمدته أنّ النحو العربي في طور نشأته ما كان بمعزل عن الفكر الأجنبي وعن التأثر به، فما نصيب هذا الرأي من الصحة؟ أكان النحو إبان نشأته متأثراً بالفكر الأجنبي؟ أم كان في هذه المرحلة وليد بيئته الإسلامية وظروفه الموضوعية؟

ذهب بعض الدارسين إلى تأثر النحو العربي بالنحو الفارسي على يد "ابن المقفع" وذهب آخرون إلى تأثره بالنحو اليوناني على يد "ابن المقفع" و"حنين ابن إسحاق"، وذهبت طائفة ثالثة إلى تأثره بالنحو السرياني على يد "يعقوب الرهاوي".

«ذهب المستشرق "دي بور" إلى تأثر النحو العربي بالنحو الفارسي القديم زاعماً أنّ "ابن المقفع" يسَّر للعرب الإطلاع على كل ما كان في اللغة الفهلوية من أبحاث لغوية ومنطقية... وذهب "دي بور" أيضا إلى تأثر النحو العربي باليوناني على يد "حنين بن إسحاق"، ويرى الدكتور/ "أحمد أمين" أنّ "حنيناً" تعلم اليونانية ولازم "الخليل" وأيده الدكتور/ "إبراهيم بيومي" وذهب

إلى أنّ "حنيناً" تبادل مع "الخليل" فيما تبادل بعض القواعد النحوية»[1]، وذهب "إبراهيم بيومي" أيضا إلى تأثر النحو العربي بالنحو السرياني على يد"يعقوب الرهاوي"، وكان "جرجي زيدان" يأخذ بهذا المذهب.

أما الزعم بأن "ابن المقفع" كان الطريق لتأثير النحو الفارسي أو اليوناني في النحو العربي فباطل لأنّ «صداقة "الخليل" و"ابن المقفع" مسألة فيها نظر، فلقاء الرجلين وقع مرة واحدة كما

تشير المصادر إلى ذلك... وهذا لا يكفي لتحقيق معنى الصداقة بينهما»[2].

و«ترجمة "ابن المقفع" لمنطق "أرسطو" لم تثبت أيضا بل أثبت الأستاذ "بول كراوس" أنّ الذّي ترجم منطق "أرسطو" هو "محمد بن عبد الله بن المقفع" لا "ابن المقفع" نفسه، وعليه فترجمة منطق "أرسطو" – التّي زعم أنّ "الخليل" قرأها– تمت بعد وفاة "الخليل"»[3].

أما ما ترويه بعض المصادر عن صلة "الخليل" "بحنين بن إسحاق" باطل لا حقيقة له « فقد توفي "الخليل" سنة 175هـ، وولد "حنين بن إسحاق سنة 194هـ»[4]، فكيف يكون "حنين" قد صحب "الخليل" ولم يولد إلا بعد وفاته بتسع عشرة سنة؟

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص92

[2] محمد الصماري–نور الهدى لوشن، أصالة النشأة في النحو العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية32، 2011م، ص33

[3] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص39

[4] محمد الصماري–نور الهدى لوشن، أصالة النشأة في النحو العربي، ص33

ولو سلمنا بتأثر "الخليل" وتلامذته بالمنطق الأرسطي، فإنّ هذا التسليم لا يقود إلى القول بتأثر النحو العربي في طور نشأته بهذا المنطق، ذلك أنّ "الخليل" و"سيبويه" لم يضعا النحو العربي، فاللبنات الأولى في بناء هذا النحو يرجع عهدها إلى أواخر القرن الأول الهجري، والنحاة والنحاة الأوائل لم يتأثروا بهذا المنطق لأنه لم يترجم في عصرهم،«كما أنّ دعوى التأثر بالنحو السرياني لا يسندها دليل علمي، ذلك أن نظرية العامل مثلا في النحو العربي لا وجود لها في أي أي نحو آخر، و إنّ وجود تشابه في تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وأداة في العربية والسريانية لا يدل على تأثر العربية بالسريانية، لأن هذا التقسيم موجود في أكثر لغات العالم، فما يصدق على على العربية والسريانية يصدق على أي لغتين أخريين»[1].

ويقول الدكتور/" أحمد مختار عمر": «تأثر النحو السرياني بالنحو العربي تأثراً كبيراً حتّى بلغ أن وضع " ابن العبري" "كتاب الأشعة" على غرار "المفصل" لـ"الزمخشري"، كما تأثر النحو العبري بالنحو العربي تأثراً واضحاً»[2].

من هذا يظهر لنا أثر العرب البالغ في سواهم من الأمم في مجال الدرس اللغوي، وإذا كان العرب على هذه الدرجة من التأثير فكيف يمكن أن نقبل حكاية تأثرهم بالهنود واليونان والسريان التّي لم يثبتها دليل، وما هي إلا مزاعم اعتمدت السبق الزمني فبنت عليه فكرة تأثر العرب بهذه الأمم.

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص94

[2] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص251

3/ الأسس المنهجية في دراسة اللغة:

سنحاول الوقوف على مناهج اللغويين العرب في دراستهم للغة وطريقتهم في الكشف عن الحقائق اللغوية ووصفها وتقعيد القواعد الخاصة بها، ومدى شمولها للغة العرب، وقابلية هذه القواعد على التجدد والتطور.

1-الاستقراء: هو ما يقوم به الدارسون المعنيون ببحث موضوع ما من تتبع مادته واستقصائها وجمعها من مصادرها المعتمدة، وهذا ما فعله اللغويون الأوائل حين سعوا إلى استقراء اللغة من أفواه العرب لغرض تدوين ألفاظها ومعانيها وقواعدها الشاملة.

يقول "تمام حسان": «كانت دراسة اللغة تدور في مبدأ الأمر على تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشافهة الأعراب، وفصحاء الحاضرة، فكان ثمة مجال للاستقراء واستنباط القاعدة من تقصي سلوك المفردات والأمثلة، ومن ثم نتبين أن الدراسات العربية الأولى تتسم بالوصف، وتنأى إلى حد كبير عن المعيار»[1].

وكان البصريون أسبق من الكوفيين إلى دراسة اللغة والنحو، وأقدم منهم قياماً بالاستقراء، يقول "ابن سلام": «وكان لأهل البصرة في العربية قدمة، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية»، وقال "ابن النديم" وهو يعلل لمنهجه: «إنّما قدمنا البصريين أولا، لأن علم العربية عنهم أخذ»[2].

[1] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتاب، القاهرة، ط4، 2001، ص35

[2] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ص327

وكان لكل منهم منهج خاص اعتمده في الاستقراء، والأساس الأول الذّي اختلفت فيه المدرستان هو تحديد القبائل التّي تأخذ من لهجاتها، فرأى البصريون تحديدها بالقبائل التّي تسكن أواسط الجزيرة العربية دون غيرها ذاهبين إلى أنّ هذه القبائل التّي سكنت أطراف الجزيرة العربية فسدت لهجاتها بمخالطة الأمم الأعجمية المجاورة، في حين لم يشترط الكوفيون ذلك بل أجازوا الأخذ عن القبائل العربية كلها ذاهبين إلى أنّ الإجماع قائم على أنّ جميع قبائل العرب تتكلم العربية، قال "ابن خلدون": «كانت قريش أفصح اللغات العربية وأضرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم، وعلى نسبة بعدهم من

قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية»[1].

وحين درس اللغويون لهجتي قريش وتميم قالوا أنّ «الأولى أفصح والثانية أقيس، وضربوا لذلك مثلا قوله تعالى: (مَا هَذَا بَشَراً) يوسف آية31، في إعمال (ما) وإهمالها، فإهمالها تميمي وإعمالها حجازي، وقريش حجازية»[2].

[1] ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، ج3، ص649

[2] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص332

والواقع أنّ الاختلافات التّي أشار إليها اللغويون بين لهجة قريش وغيرها، أو بين اللهجات عموماً لا تتجاوز الاختلاف في الأصوات والاختلاف في الأبنية، أما الأسلوب العام فلم يمسه شيء وهذه بعض الخلافات كما حصرها العلماء في مصنفاتهم:

1-الاختلاف في الأصوات:

أ-الاختلاف في أصوات المد: «ومنه الاختلاف في الفتح والإمالة فبعض العرب يؤثرون الفتح وبعضهم الإمالة كما في (قضَى) و(رمَى)، والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عرب وسط الجزيرة وشرقيها كتميم وأسد وطيء، ولهذا شاعت الإمالة في قراءات أهل الكوفة وأهل البصرة»[1].

ب-الاختلاف في الحركة والسكون: كما في (معكم) فبعض القبائل يفتح العين وبعضها يسكن، (مَعَكم، مَعْكم).

ج-الاختلاف في التخلص من التقاء الساكنين: فبعضهم يتخلص بالكسر وبعضهم يلجأ إلى غير الكسر، مثل قوله تعالى:(الْذِينَ اشْتَرَوُاْ الْضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) البقرة آية 16، بالضم، والأكثر(اشْتَرَوِاْ الْضَّلَالَةَ) بالكسر.

2-الاختلاف في الأبنية:

أ-الاختلاف في صورة الجمع: مثل: أسرى وأسارى في جمع أسير، وسرط وأسرطة في جمع سراط.

[1] المرجع نفسه، ص335

ب–الاختلاف في الحذف والإثبات: مثل: استحيَيْت واستحيْت، بياء زائدة من لغة أهل الحجاز، ومنه قوله تعالى:(تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) القصص آية 25.

2–السماع والقياس: معلوم أنّ منهج القدماء قام على ركنين أساسيين هما السماع والقياس، والسماع أن يكون الراوي سمع بنفسه ما يرويه عن غيره، فإن كان هناك ما يفصل بين الراوي السامع والمروي عنه كأن يكون بينهما راوٍ آخر فذلك يعد رواية.

وفي السماع قام المنهج على تحديد القبائل العربية التّي يحتج بلغاتها فقد أُعتمد على القبائل التّي تقطن قلب الجزيرة العربية واستبعدت من الاحتجاج القبائل المنتشرة على السواحل والقريبة من الأعاجم وقد صنف "أبو نصر الفارابي" هذه القبائل بقوله: «كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة في النفس والذّين نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين لقبائل العرب وهم: قيس وتميم وأسد، فإنّ هؤلاء هم الذّين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب في الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التّي تجاور سائر الأمم الذّين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان و لا من إياد، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى، يقرؤون في صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ونمر، فإنهم كانوا مجاورين لليونانية، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولا عن عبد القيس لأنهم كانوا سكان

البحرين مخالطين للهند والفرس...، لأنّ الذّين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم»[1].

إذن فقد كان السماع من أفواه عرب البوادي من أهم الموارد التّي اعتمد عليها اللغويون في استخلاص الأمثلة والتراكيب اللغوية التّي اتخذها النحاة بعد ذلك مقاييس لاطراد القاعدة النحوية، فقد أثر عن "عمر بن الخطاب" قوله المشهور: «عليكم بديوانكم ألا تضلوا، فقالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم».

أما القياس وهو الركن الثاني بعد السماع فله مفهومين مختلفين: «أولهما يعتمد على اطراد الظاهرة اللغوية في النصوص، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها، وأما

الثاني فهو عملية شكلية يتم فيها إلحاق أمر بآخر لما بينهما من شبه أو علة فيعطى الملحق حكم ما ألحق به»[2].

ومذهب البصريين في القياس يختلف عن مذهب الكوفيين، فالبصريون يرون القياس على الكثير الشائع الفصيح، بينما الكوفيون يقيسون على القليل والنادر، وفي ذلك يقول "السيوطي": «اتفقوا على أنّ البصريين أصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا

[1] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو،تح: أحمد صبحي فرات، مطبعة كلية الآداب، استانبول، 1975، ص27-28

[2] أحمد مطر العطية، منهج النحويين القدامى في الميزان، جامعة الملك سعود، ص27

يقيسون على الشاذ»[1]، ونقل أيضا كلام "الأندلسي": «الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلا وبوبوا عليه بخلاف البصريين»[2].

نلاحظ أنّ النحاة قد اعتمدوا في وضع القواعد على القياس إذ[3]، يقول "الكسائي" بهذا الشأن:

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعْ وَبِهِ فِي كُلِّ أَمرٍ يُنْتَفَعْ

ويقول "ابن الأنباري": «اعلم أنّ إنكار القياس في النحو لا يتحقق، لأن النحو كله قياس».

3-المادة اللغوية:

انبنت مواقف اللغويين العرب من الشواهد على أسسهم في الاستقراء و السماع و القياس، ولذلك فقد تباينت هذه المواقف تبعاً للأساس الذّي تستند إليه، فالبصريون يختلفون مع الكوفيين في أهمية الشاهد ومبلغ الاعتماد عليه، ولمّا كان القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الشعري والنثري، تمثل جميعاً مصادر الدرس اللغوي كان اهتمام القدماء بها كبيراً.

أ-القرآن الكريم وقراءاته:

كان من حظ العربية أن خصها الله سبحانه بنزول القرآن بها، فكان سجلاً لكل ظواهر فصحاها، سجلاً لم يطرأ عليه أدنى تغيير أو تبديل لذلك يضعه اللغويون في مقدمة المصادر التّي يتم بها توثيق اللغة.

---

[1] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو،ص111

[2] المرجع نفسه، ص110

[3] تمام حسان، الأصول-دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم دار الكتاب، القاهرة،2000م، ص154

ومن الحقائق المسلمة أنّ القرآن هو أفصح ما نطق بالعربية، يقول "البغدادي": «كلامه عز اسمه أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه»[1]، ذلك أنّ القرآن وصل إلينا بقراءات مختلفة، منها المتواتر ومنها الآحاد ومنها الشاذ، فالمتواتر هو القراءات السبع المشهورة، والآحاد هي القراءات الثلاث التّي تلحق بالسبع، والشاذ هو ما دون هذه القراءات، وشروط صحة القراءة ثلاثة كما أوردها "ابن الجزري"[2]:

-أن تصح نسبتها إلى رسول الله T .

– أن توافق الرسم العثماني ولو احتمالاً.

-أن توافق العربية ولو بوجه.

«ومن المقرر أنّ روايات كثيرة من القراءات القرآنية، صحيحها وشاذها، يعتبر سجلاً لظواهر اللهجات العربية القديمة، التّي عاصرت القرآن، ومن ثم ترتبط مشكلة الاستشهاد بالقراءات بمسألة اعتماد اللهجات، أو عدم اعتمادها مصادر للغة الفصحى»[3].

وكان اللغويون والنحاة الأوائل من القراء الأوائل المعنيين بوجوه الخلاف بين القراءات «ففي القراءات أوجه نحوية متعددة حتّى أنّه قد نُصّ على بعض الألفاظ أنّه يصح فيه الرفع والنصب والجر، وهذا يشير إلى الخلافات اللغوية بين القبائل، وقد دخلت القرآن على شكل قراءات»[4]،

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص 348

[2] عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، مصر،1996، ص85

[3] عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية (القياس في الفصحى، الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م، ص62

[4] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص349

ويفترض بالدرس اللغوي أن يستعين بهذه القراءات للوقوف على تلك الخلافات، وكانت الطبقة الأولى من اللغويين أمثال: "عبد الله بن أبي إسحاق" (ت117هـ) و"عيسى بن عمر" (ت154هـ) و"أبي عمرو بن العلاء" (ت154هـ) وغيرهم طبقة قراء، حيث عرف الثالث بقراءة مشهورة هي إحدى السبع الموثقات، «غير أنّ البصريين منذ "سيبويه" حاولوا أن يخضعوا هذه القراءات إلى قواعدهم وأقيستهم فما وافق هذه القواعد المقررة قبلوه واحتجوا به، وما خالفها رفضوه ووصفوه بالشذوذ»[1].

وقد مرَّ بنا في ثنايا هذا البحث أنهم شديدوا الاعتداد بالقاعدة والأخذ بالقياس، فدفعهم ذلك إلى تقديم القاعدة على النص القرآني الموثق بالسند الصحيح .

أمّا الكوفيون فكان موقفهم من القراءات يعتمد على احترامها والأخذ بها، يقول "الفرّاء": «إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلي من خلافه، وقال: كان "أبو عمرو بن العلاء" يقرأ:(إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) طه الآية63، ولست أجترئ على ذلك»[2] .

وغلط البصريون "ابن عامر" في قراءته قوله تعالى:(وَكَذَلِكَ زُيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) الأنعام الآية 137، لفصله بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول، فمنعوا ذلك ورموا "ابن عامر" بالجهل بأصول العربية، أما الكوفيون فأجازوا ذلك... واستشهد "الفرّاء" على صحة هذا الاستعمال بقول الشاعر:

وَزَجَجْتُهَا بِمَزَّجَةٍ زَجَّ القلُوصِ أَبِي مزَادةٍ[1]

[1] فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار النذير، 1970م،ص40-41

[2] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص350

ب- الحديث النبوي الشريف:

كان موقف اللغويين من الاستشهاد بالحديث شبيها بموقفهم من الاستشهاد بالقراءات من حيث أنهم رفضوا- ولا سيما البصريين- الاحتجاج به في اللغة، وإنما نظر هؤلاء المنكرين إلى ما انتهى إليهم من الأحاديث فوجدوه مقترناً بظرفين، أحدهما موضوعي والثاني شخصي.

فأما الموضوعي: «هو ما استقر لدى الرواة من جواز رواية حديث رسول الله بالمعنى، والتسليم بهذا يعني أن ما يقال عنه أنه كلام النبوة قد لا يكون كذلك، لأن الراوي حفظ معناه، وصاغه في لغته الخاصة، متحرياً أن يقارب بلغته لغة النبيT على سبيل المحاكاة»[2]، وأما الشخصي «فهو أنّ النحاة نظروا فوجدوا أنّ أكثر رواة الحديث من الموالي الفرس وغيرهم وهم لا يحسنون التكلم بالعربية، فضلاً عن أن يصوغوا بها بياناً»[3].

إذن يتضح لنا من هذا أنّ الحديث ينبغي أن يستبعد من مجال الاستشهاد، ومن القياس لعدم الثقة بأنه حرفياً لغة الرسولT وإن كان الفقهاء قد أفادوا منه في بيان الأحكام، كما أفاد منه المفسرون في بيان معاني القرآن.

ج- الشعر:

الشعر العربي أساس الاستشهاد اللغوي، لأنه ديوان العربية الذّي حفظ ثروتها حين لم يكن العرب يعرفون الكتابة وسيلة لتدوين المعارف، فكان الشعر لسهولة حفظه، وحلاوة موسيقاه، أقرب

---

[1] المرجع السابق، ص351-352

[2] عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص67

[3] المرجع نفسه، ص68

الوسائل إلى عقول العرب وقلوبهم، وعندما نزل القرآن كان العرب قد بلغوا في إتقانهم للشعر درجة تؤهلهم لتلقي لغته، لذلك كان شعر الجاهلية سجلاً يحوي معاني ألفاظ اللغة التّي استعملها القرآن. لذلك كان طبيعياً من اللغويين الأوائل أن يروا في الشعر الجاهلي مصدراً مهماً بعد القرآن لتوثيق مادة اللغة.

«وقد اشترط اللغويون فيما يستشهد به: التقدم في العصر، والبداوة، وعلم قائله بالعربية، وبصحة نسبته إليه، ولم يخرج عن هذه الشروط أحيانا إلا المتأخرين... وكان البصريون أكثر تمسكاً بها من غيرهم»[1].

وقد قسم اللغويون الشعراء إلى طبقات:

-الطبقة الأولى: الجاهليون: أمثال "امرئ القيس"، و"زهير"، و"النابغة"، و"الأعشى"، و"طرفة".

-الطبقة الثانية: المخضرمون: أمثال "حسان بن ثابت"، و"كعب بن زهير"، و"الحطيئة".

-الطبقة الثالثة: الإسلاميون: أمثال "الفرزدق"، و"جرير"، و"الأخطل"، و"ذو الرمة"، و"الكميت بن زيد".

يقول "البغدادي": «فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها، وقد كان "أبو عمر بن العلاء" و"عبد الله بن إسحاق" و"الحسن البصري" يلحنون "الفرزدق" و"الكميت" و"ذا الرمة" في عدة أبيات أخذت عليهم ظاهراً، وكانوا يعدونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم»[2]، و"أبو عمر بن العلاء" يعترف لـ"الفرزدق" و"جرير" بأنّ

[1] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص357

[2] المرجع السابق ، ص357

شعرهما جدير بالرواية لولا تأخر زمنه بالنسبة إلى عصره، كما اعترف بهذا "للأخطل" فقال:

«لو أدرك "الأخطل" يوماً واحداً من الجاهلية ما فضلت عليه أحداً»[1]

4-المنهج الوصفي:

هو منهج يدرس الظاهرة كما هي في أرض الواقع فيقوم بوصفها وتوضيح خصائصها، «ومن معايير المنهج الوصفي الأساسية تحليل أنواع الصيغ والمفردات اللغوية والكشف عن الأنظمة النحوية الصرفية للغة الموصوفة كنظام النفي والاستفهام...»[2].

والسؤال المطروح: هل توجد بذور أولية لهذا المنهج في الدراسات اللغوية القديمة؟

ليس القول بأن العرب القدماء بدؤوا دراساتهم اللغوية بالاعتماد على المنهج الوصفي ببعيد عن الحقيقة، ذلك لأنّ أية دراسة علمية لابد أن تعتمد على جمع الظواهر الخاصة بالعلم المعين ثم دراستها بعد ملاحظتها وتجربتها والخروج بنتائج أو قواعد تخص هذه الظواهر، وهكذا بدأ العرب القدماء بجمع المادة اللغوية من أماكنها الصحيحة التّي اعتقدوا أنّها مناطق اللغة الفصحى البعيدة عن اللحن وعن مناطق التأثر باللغات الأجنبية المحيطة بشبه الجزيرة العربية.

[1] المرجع نفسه، ص358

[2] علي زوين، منهج البحث اللغوي(بين التراث وعلم اللغة الحديث)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1986م، ص12

ولقد كان أول عمل لغوي على يد "أبي الأسود الدؤلي" عملاً وصفياً خالصاً، إذ قال لكاتبه: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف»[1].

كما أنّ الاستعمال من أهم ركائز المنهج الوصفي ولا يتصور وصف لغة ما من غير النظر النظر في استعمالها الواقعي «والاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي... وقد كان أيضا أصلا من أصول النحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة العربية ولطبيعة ولطبيعة الحركة العلمية التّي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية، وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في تناول كثير من ظواهر اللغة»[2]، ومن أمثلة الاتصال بالواقع اللغوي تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشافهة الأعراب والنقل عنهم مما مهد إلى استقراء اللغة واستنباط القواعد.

لقد كان منهج البحث لمدرسة الكوفة في بداية نشأتها «أقرب إلى المنهج الوصفي باعتماد الكوفيين أساسا على المسموع وبخاصة النصوص، وعدم إخضاعها كلية إلى القواعد بل استنباط القواعد منها وتوجيههم نصوص القرآن واللغة والأدب هذا المنحى من المنهج وعدم تعويلهم الكبير على التأويلات البعيدة المتكلفة»[3]، كما أنّ النحاة الأوائل قد كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على

[1] السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: الزيني وخفاجي–مصطفى البابي، القاهرة، 1955م، ص34–35

[2] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص37

[3] علي زوين، منهج البحث اللغوي(بين التراث وعلم اللغة الحديث)، ص15

أساس شكلي وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي وهذه هي بعض الأمثلة التّي نسوقها لنتبين روح المنهج الوصفي في القواعد العربية القديمة:

1- ضرب زيد عمراً: «وإن قدمت الاسم فهو عربيّ جيد كما كان ذلك عربياً جيداً وذلك قولك زيداً ضربت»[1].

2-« هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب، وذلك قولك: ويحٌ له وتب، وتباً له وويحاً، فجعلوا (التب) بمنزلة (الويح)، وجعلوا (ويح) بمنزلة (التب) فوضعوا كل واحد منهما في غير الموضع الذّي وضعته العرب»[2].

3- «واعلم أنّ ناساً من العرب يجعلون (هلم) بمنزلة الأمثلة التّي أخذت من الفعل، يقولون: هلمي، وهلما وهلموا»[3].

5- المنهج المعياري:

ويقصد به اتخاذ معايير وضوابط ثابتة لا يجوز الخروج عنها، فما وافقها يعد صحيحا، وما يخالفها يعد خطأ، وهو الطريقة المتبعة في صياغة الألفاظ والعبارات عن طريق القياس، ومراعاة المستوى الصوابي في الاستعمال، والمستوى الصوابي: «معيار لغوي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال، وهو الصوغ القياسي لا يمكن النظر إليه باعتباره فكرة

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988م، ج1، ص44

[2] المرجع نفسه، ص205

[3] المرجع نفسه، ص167

يستعين الباحث بواسطتها في تحديد الصواب والخطأ اللغوي، وإنّما هو مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع اللغوي على الأفراد، ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال»[1].

لقد لاحظنا فيما تقدم كيف نشأ النحو العربي نشأة وصفية باعتماد الاستقراء، ولكن بعد حين حين من الزمن جنح النحاة به صوب المعيارية بعد أن وضعوا القواعد والأصول وتوقفوا عن استقراء المادة اللغوية، «وقد يكون لعلماء العربية عذرهم في تركيزهم على هذا المنهج المعياري، إذ المعياري، إذ هم من بداية الأمر معنيون بتوجيه الناس نحو الصحيح وغير الصحيح من قواعد اللغة، ومهتمون بتخليص اللغة من الشوائب والشواذ قصداً إلى المحافظة عليها وصيانتها من التحريف واللحن»[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى الوقوف عند أسس المنهج المعياري، باعتباره المنهج السائد في الدراسات اللغوية القديمة وهي:

أ-القياس: وهو قياس ظاهرة ما على ظاهرة أخرى منصوصة عليها أو مسموعة، والقياس أساس من أسس وضع القواعد النحوية والصرفية واطرادها، والنحاة الأوائل قاسوا اللغة على ما تكلم به العرب، وأمّا الشاذ المنكر، فلا يقاس عليه.

ب- التعليل: ويعتبر«سمة من سمات المعيارية وهذا التعليل من تصورات الباحث ليس غيره، ولم يتصوره الناطقون بهذه الظواهر حيث نطقوا بها»[3]، وتمتلئ كتب النحاة بكثرة التعليلات المفرطة

[1] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص72

[2] كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1973م، ص50

[3] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص693

سواء للقواعد المطردة أو للأمثلة الشاذة، والتعليلات النحوية كانت في الأول يسيرة سهلة، يحكمها الذوق والاستعمال، ولم تبلغ مستوى التعقيد إلا بعد أن نضج النحو وتطور.

ج- المكان والزمان: من مظاهر المعيارية في وضع القواعد النحوية العربية مراعاة زمان الفصاحة حيث لم يؤخذ عن المولدين، ومكان الفصاحة حيث لم يؤخذ عن قبائل التخوم.

يمكن أن نستدل ببعض مظاهر المنهج المعياري في الدراسات اللغوية العربية القديمة التّي تتلخص فيما يلي:

-الأخذ من بعض القبائل واللهجات وترك قبائل ولهجات أخرى، وبخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب، وأكثر القبائل الذّين أخذ عنهم: قيس وتميم وأسد.

-تقسيم الكلام، من حيث الاستعمال إلى مطرد وشاذ، قال "أبو علي الفارسي": «هذا باب معرفة ما كان شاذاً من كلامهم؛ اعلم أنّ الشاذ في العربية على ثلاثة أضرب: شاذ عن الاستعمال مطرد في القياس، ومطرد في الاستعمال شاذ عن القياس، وشاذٌ عنهما»[1].

-التقدير والافتراض:«تقدير جمل وافتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيها إعرابيا تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافؤها الدلالي... فتقول: ما أعجب شيء إعجاب زيدٍ ركوبُ الفرس عمرو، فنصبت (إعجابا) بالمصدر وأضفته إلى (زيد)، فالتقدير ما أعجب شيء شيئاً كما أعجب زيداً أن ركب الفرس عمرو، لأنك أضفت الركوب إلى الفرس، والفرس مفعول، لأنّ (عمرو) ركبه، و (زيد) المفعول، لأنّ الركوب أعجبه»[2].

[1] علي زوين، منهج البحث اللغوي(بين التراث وعلم اللغة الحديث)، ص30

[2] المرجع نفسه، ص30-31

-استعمال بعض القضايا في الشعر مخالفة للقواعد التّي قررها النحاة، كالضرورات الشعرية المعروفة من جر الساكن وتسهيل الهمز أو همز الكلمة ونحوهما.

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ هناك أوجه الشبه بين الأفكار والطرق التّي كانت المدرسة القديمة تستعملها في تصورها للبحث اللغوي وبين الناهج الحديثة التي يعتقد أنها تصورات غربية محضة، وهي لا شك كذلك في أساليبها العامة ومصطلحاتها المتخصصة، ولكننا نجد تصورات مماثلة أو مشابهة بعض الشيء للمناهج الحديثة في الدراسات العربية القديمة، ومثل ذلك نظرية القياس التّي صاحبت الدرس اللغوي الغربي المعاصر منذ نشأته، على اختلاف الاتجاهات والمدارس، «حيث عقد "دي سوسير" بابين في كتابه المشهور "دروس في الألسنية العامة Cours de linguistique Générale" صرح فيهما بوجود القياس في اللغة وأكد أهميته»[1]، كما استعمل أيضا المنهج الوصفي في دراسته للغة.

4/تداخل الدرس اللساني الحديث بالتراث اللغوي العربي:

إنّ المتمعن في التراث اللغوي العربي القديم يلاحظ أنّ لهذا الأخير دوراً مهماً في التفريق بين اللغة كنظام في حد ذاته وبين الأداء اللغوي الذّي يظهر في الممارسة الفعلية التّي تتجلى كنشاط فردي نابع من الفرد المتكلم ضمن سياق معين، وغير ذلك من القضايا التّي تطرقت إليها الدراسات اللغوية العربية قديما التّي لها صلة مباشرة، لكن العرب لم يفطنوا إليها إلا في وقت متأخر من الزمن.

[1] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، دار العربية للكتب، طرابلس، ليبيا، ص243

1-مفهوم اللغة:

أ-عند العرب: لقد اهتم العلماء العرب بتعريف اللغة وتوضيح ماهيتها، فقاموا بوضع تعريفات جديرة بمناقشتها وبيان مدى فعاليتها وعمقها، والحق أنّ نظرة متفحصة في هذه التعريفات تؤكد لنا باليقين العلمي أنّ هذه التعريفات على قدمها تقف على قدم مساواة مع أحدث التعريفات اللغوية لمفهوم اللغة.

وقد قدم لنا "ابن جني" تعريفا إذ يقول: «أما حدها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[1]، نرى أنّ حد اللغة عند "ابن جني" عبارة على ثلاثة أمور هي:

1- اللغة عبارة عن أصوات.

2-اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم.

3- تتنوع اللغات وتتعدد بحسب الأقوام ومتكلميها.

كما يعرفها[2]: "ابن الحاجب" بقوله:«حد اللغة كل لفظ وضع لمعنى»، ويتفق معه "الأسنوي" في تعريفه بقوله: «اللغات عبارة عن الألفاظ الموضوعة للمعاني»، ويتفق معهما "الكيا الهرّاسي" في تعريف اللغة في قوله: «فوضعوا الكلام دلالة ووجدوا اللسان أسرع الأعضاء حركة وقبولا للترداد».

ونلاحظ أنّ هذه التعريفات الثلاث تركز على خمسة أمور هي:

-اللغة عندهم جميعا عبارة عن مواضعة واصطلاح.

---

[1] ابن جني، الخصائص،ج1، ص22

[2] حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب(ونظريات البحث اللغوي الحديث)، دار المناهل للطباعة، مصر، ط1، 1994م، ص9

-اللغة عند كل من"ابن الحاجب" و"الأسنوي"، وضعت للدلالة على المعاني.

-اللغة عبارة عن أصوات يرددها اللسان، كما ينفرد بذلك "الكيا الهّراسي".

-أصوات اللغة محدودة متناهية.

-مفردات اللغة وكلماتها محدودة هي الأخرى ومتناهية.

ب- عند الغرب:

-يقول "أندري مارتيني": «إنّ اللغة، أداة تواصل تُحَلَّلُ وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع إنساني عبر وحدات تشتمل على محتوى دلالي، وعلى عبارة صوتية»[1].

ويبدو واضحا أن"مارتيني" يركز على وظيفة هامة للغة، ألا وهي وظيفة التواصل بين متكلميها، وعنده أنّ اللغة تقوم على أساس الوحدات الصوتية التّي تشتمل على دلالات معينة.

أما اللغة عند "دي سوسير" فهي عبارة عن نظام من العلاقات التّي توحد المعاني والصور الصوتية فيها.[2]

ولا يفوتنا أن نذكر أنّ العلماء العرب قد جمعوا في تعريفاتهم عددا من المسائل، تماثل نظائرها عند الغربيين المحدثين، وتكاد تقاربهم من حيث الكمية، وهذه المسائل هي:[3]

اللغة عبارة عن أصوات، اللغة تتألف من كلمات، اللغة وسيلة التعبير عن أغراض القوم، اللغة تتنوع وتختلف باختلاف أصحابها، اللغة مواضعة واصطلاح، اللغة وضعت للدلالة على المعاني،

---

[1] المرجع السابق، ص13

[2] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، ص28

[3] حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب(ونظريات البحث اللغوي الحديث)، ص18

أصوات اللغة محدودة متناهية وكذا مفرداتها، الاصطلاح قائم بشكل أو بآخر ضمن اللغة، كلمات اللغة تتكون من وحدات منفصلة، اللغة قائمة على مستويين هما: مستوى الأصوات ومستوى الكلمات، اللغة فعل لساني، اللغة ملكة لسانية، اللغة عملية مقصودة لذاتها، اللغة ميزة إنسانية مكتسبة.

2- موازنة بين "الجرجاني" و"سوسير":

اهتم "الجرجاني" بالصلات القائمة بين الكلمات التّي تؤلف الجملة والتّي تتجلى عند "سوسير" في القيمة اللغوية للعناصر من حيث صلتها ببقية العناصر الأخرى، فالإمام "الجرجاني" يبرز الصلات القائمة بين الكلمات التّي تؤلف الجملة، ويهتم بالعلاقات القائمة بصورة متبادلة بين وحدات الكلام وهذا ما أكده في النظم إجمالا، كما أنّ "سوسير" يقرر القيمة اللغوية للعناصر من حيث صلتها ببقية العناصر الأخرى ويتضح ذلك من قول "الجرجاني": «اعلم أنّ معاني الكلام لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل الأول هو الخبر...»[1]، ونتبين من هذا أنّ قيمة أي عنصر لا تقوم إلا بعلاقته ببقية العناصر الأخرى وفي سياق محدد ببحثه مظاهر التعليق والتماسك بين العناصر اللغوية فبين بذلك عملية الإسناد بين المسند والمسند إليه على أنها في الأصل الخبر وفكرته هذه مشابهة لفكرة "تشومسكي" التّي تشير إلى أنّ الجملة الأصلية لا تخرج عن إطار إسناد شيء إلى آخر.

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005م، ص415

كما وقف "الجرجاني" عند فكرة اعتباطية اللغة حين قال: «فلو أنّ واضع اللغة قد كان قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»[1]، وهذا ما نجده عند "سوسير" في تركيزه وبيانه على أنّ اللغة نظام من الدلائل المتميزة مطابقة لأفكار متميزة هدفه دراسة اللغة كواقع قائم بذاته ولذاته.

«فـ "دي سوسير" يرى أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة عرفية فلفظة (dog) في الانجليزية لا تدل على معناها من خلال أصواتها وإنما تكتسب هذه اللفظة معناها من خلال تعارف المجتمع واتفاقه، فهي اصطلاحية ثابتة للغة الواحدة والمجتمع الواحد»[2].

واللغة عند "عبد القاهر الجرجاني" مجموعة من العلاقات المتفاعلة والفاعلة والتّي تحمل نسيجا متشعبا من المشاعر والأحاسيس، ويظهر ذلك ويوضحه النظم الذّي هو صياغة الجمل ودلالتها على الصورة، فيقول: «واعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذّي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التّي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التّي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[3]، ويقول أيضا: «فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه»[4].

---

[1] المرجع السابق، ص40

[2] إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص18

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81

[4] المرجع نفسه ، ص65

ويتضح لنا مما سبق أن "عبد القاهر الجرجاني" ينكر القسمة بين اللفظ والمعنى ويرد المزية في الكلام إلى السياق التّي تتعاون فيه جميع دلالات الكلمات لتأدية المعنى عن طريق النظم الذّي هو صنعة يستعان عليها بالفكرة، والنظم عنده ليس اتصال الألفاظ وترابطها وتتاليها من حيث هي حروف أو أصوات وإنما هو تتالي معانيها واتساقها فيما بينها، وأنه لا يريد بالنظم نظم الحروف لأن هذا يعني تواليها بالنطق فقط «وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم بمقتف في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد»[1].

ويتضح لنا أنّ توالي الحروف أو ترتيبها رسماً أو نطقا يتم بطريقة اعتباطية لا دخل لعقل الإنسان بها، وليس هناك من تفسير لتوالي هذه الحروف في الكلمة سوى ما يفرضه جهاز النطق عند الإنسان، أي ما يتلاءم وطبيعته الخلقية لأن جهاز النطق عنده خصائص تحده وتمنعه من نطق الحرف دفعة واحدة.

3- نظرية العامل بين "الخليل" و"تشومسكي":

لقد أصبحت نظرية العامل من أحدث النظريات اللغوية التي تؤسس على أساسها الدراسات النحوية عند علماء المدرسة التوليدية التحويلية، ومعلوم أنّ النحو العربي قائم على فكرة العامل

[1] المرجع السابق، ص40

أنّ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" له دور كبير في تثبيت أصول هذه النظرية وأنه هو الذّي مدّ فروعها.

«إنّ نظرة "الخليل" إلى العامل كانت في ضوء تذوقه الحروف ومراقبته الكلمات في ثنايا التأليف وملاحظته التفاعلات اللغوية بين الأصوات والكلمات... ولاحظ أنّ بعض الحروف أقوى من بعض وأنّ للقوي تأثيراً في الضعيف ولذلك كانوا يقدمون القوي إذا اجتمع في كلمة واحدة وكان من نتيجة إدراك هذا التأثير بين الحروف كشف اللثام عن المظاهر اللغوية الصوتية المتمثلة في ظواهر الإدغام والإبدال والإعلال وغيرها من ظواهر القلب والإتباع»[1].

ولقد حظيت نظرية العامل باهتمام اللغويين المحدثين في الربع الأخير من القرن العشرين، حيث فرضت هذه النظرية نفسها على ساحة الدراسات اللغوية، بحيث أصبحت النموذج الأمثل عند علماء النظرية التوليدية التحويلية، فقد ألف "تشومسكي" رائد هذه النظرية و مؤسسها عملين هامين حول نظرية العامل، مبينا أهميتها وفاعليتها في تحليل التراكيب النحوية وإلقاء الضوء عليها.

ولعل اعتماد نظرية العامل عند "تشومسكي" على عنصري الأثر والمضمر والتفاعل الكائن بينهما، «هو الذّي دفعه أن يجعل منها قاعدة كلية يفترض فيها أنّ العامل في المفعول هو الفعل، وأنّ العامل في الفاعل ما يسمى الصرفة والتّي تتضمن صفات التطابق والزمن والجهة»[2].

وينبغي أن نعلم بأنّ نظام الجملة العربية يختلف عن القاعدة التّي ذكرها "تشومسكي"، حيث لا تتضمن جمل العربية وجود عاملين أحدهما يخص الفاعل والآخر يخص المفعول، فالعامل في

[1] حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب(ونظريات البحث اللغوي الحديث)، ص58

[2] المرجع نفسه، ص57

تركيب العربية يعمل في الفاعل والمفعول على السواء، الفعل مثلا يقوم بعملية الرفع في الفاعل والنصب في المفعول، والفعل الناسخ يقوم بالرفع في المبتدأ والنصب في الخبر وهكذا...

«ولقد وصل "الخليل" من خلال إدراكه للأصوات والحروف والكلمات على النحو الذّي أسلفنا، وصل إلى دراسة جديدة هي الهدف من هذا كله إنها تتعلق بأسباب تغيير أواخر الكلمات بتغيير موقعها في التراكيب، ومما لاشك فيه أنّ أساس هذه الدراسة هو الكشف عن المؤثرات المختلفة التّي تؤدي إلى مثل هذا التغيير، هذه المؤثرات هي العوامل»[1].

ومن هنا نؤكد أنّ فكرة العامل في النحو العربي قد نشأت نشأة لغوية ابتداء من التأثير والتفاعل بين الأصوات والحروف، وانتهاء بالمؤثرات الفاعلة في تغيير أواخر الكلمات داخل التراكيب المختلفة، ولسنا نحتاج إلى جهد كبير لكي نؤكد أنّ النحاة العرب قد أدركوا فكرة العامل، وأنّ أبواب النحو العربي كاملة قائمة على هذه الفكرة، ولما كانت هذه النظرية، وهي تمثل الكفاءة التوليدية التّي توصلت إليها النظرية التوليدية التحويلية، بعد جهد ومثابرة امتد إلى ما يقرب من ربع قرن، فجاءت نظرية العامل في نهاية المطاف لتكلل هذا الجهد وتلك المثابرة، فإن "الخليل" قد أدرك أهمية العامل وقدرته قبل ألف عام أو يزيد.

وخلاصة القول أنّ اللغة العربية حظيت من لدن لسانيات التراث بقسط وافر من التقعيد والدراسة، نحواً وصوتا، دلالة ومعجما، فإن كان هذا الاهتمام أملته ظروف الرغبة في تيسير قواعدها على الوافدين الجدد من العجم، فإنه يدل أيضا على اهتمام العرب بلغتهم فكان "ابن جني"

[1] المرجع السابق، ص58

من خلال تعريفه للغة باعتبارها «أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»، أول من أكد على الطبيعة الصوتية والوظيفة التواصلية للغة، وهو يلتقي مع تعريفات اللسانيين المعاصرين "كفرديناند دي سوسير" و"جاكبسون".

كما اهتم الباحثون العرب القدامى بمصادر اللغة العربية، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي القديم، وكلام الأعراب، وقد كانت قضية قراءة القرآن قراءة سليمة وفهمه وتفسيره وكشف إعجازه اللغوي والعلمي السبب الأساسي في نشأة الدراسات اللغوية عند العرب.

الفصل الثاني:

النظريات اللسانية الحديثة

1)أهم النظريات اللسانية الحديثة:

شهدت الدراسات اللغوية في الغرب منذ القرن التاسع عشر توسعا ونضجا، حتى أنظار الدارسين في مجالات أخرى، وقد بعث هذا التطور نهضة علمية لا تزال آثارها ممتدة حتى أيامنا هذه ونشأت فروع علمية جديدة كانت اللسانيات الطرف الأساسي فيها كاللسانيات الحاسوبية، النفسية، والاجتماعية وغيرها.

وقد اهتمت اللسانيات المعاصرة بوصف نظام اللغة، من أنها بنية شكلية وقواعد وظيفية، وذلك من خلال محاضرات اللسانيات العامة لدى "سوسير".

وقبل أن نتحدث عن النظريات اللسانية، جدير بنا أن نعرف معنى مصطلح اللسانية، فاللسانيات عند "أحمد محمد قدور" «العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية»[1].

ولقد لاقت آراء "سوسير" ونظرياته، في النصف الأول من القرن العشرين نجاحا عظيما بين عدد كبير من الدارسين وكانت معينا لعدد من المدارس قامت على المبادئ النظرية التي أرسى قواعدها والأسس المنهجية التي سطر معالمها ووضعها، ومن تلك المدارس اللسانية:

1-المدرسة البنوية (Structuralisme) :

تعد الأبحاث التي قدمها "دي سوسير" ما بين 1906-1911 من أهم الدراسات اللسانية البنوية، إذ كان أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية تبحث في نظامها وقوانينها،

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 15

دونما الاهتمام بجوانبها التاريخية التطورية الزمانية، وتتلخص أفكار "سوسير" في أنّ أفضل منهج دراسة للغة هو وصفها كما هي في فترة زمنية معينة والنظر إليها على أنها ظاهرة اجتماعية، واعتبر الرموز الصوتية عديمة المعنى في ذاتها.

وميز "دي سوسير" بين اللغة واللسان والكلام غير أنه ركز اهتمامه على اللسان حيث قال: «اللسان شكل لا مادة»[1]، فقد رأى ضرورة تصور اللسان ووصفه على أنه من العناصر المترابطة على المستويات التالية: الدلالية والنحوية والصرفية والصوتية «فالفكر البنوي يرى أنّ اللغة بنية منظمة متكاملة فيعنى بتصنيف الكلمات وصلاتها الاشتقاقية وصورها الإضافية من حيث الفصل والوصل مع إبراز الطابع العضوي لأنماط اللغة، وما يترتب على ذلك من فكرة المعاقبة في الموقع ثم الربط بين الصورة في النظام»[2]، ويتضح لنا أنّ التحليل البنوي يبدأ من المستوى الصوتي ثم يتعداها إلى المستويات اللسانية الأخرى.

وذهب "دي سوسير" إلى استعمال مصطلح (Signe) أي رمز أو علامة للدلالة على الكلمة لفظا ومعنى، والرمز اللغوي له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، هما:«الدال (Signifiant) وهو الصورة الصوتية، والمدلول (Signifié) وهو الصورة المفهومة التي تعبر عن المتصور الذهني الذي يحيلنا إليه الدال، وتتم الدلالة (Signification) باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولهما يتم الفهم»[3].

[1] إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص 17

[2] حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 27

[3] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 23

وقد ألح "دي سوسير" على أنّ العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية غير معللة وثمة أفكار وردت في محاضراته بعثت علوما جديدة أو أبرزت مناهج دراسية مهمة، «فقد أشار"دي سوسير" إلى الصلة بين اللغة وأنماط الإشارة الأخرى، كنظام المآدب والأزياء والسلوك والإشارات العسكرية وأبجدية الصم والبكم، وتصور وجود علم جديد دعاه بـ (Sémiologie) يدرس أنظمة الإشارة اللغوية وغير اللغوية»[1]، وقد صارت السيمياء حقيقة علما من العلوم الحديثة.

2-المدرسة النسقية(Glossématique):

اخترع العالم اللساني الدنماركي "لويس هلمسليف" مفهوم غلوسيماتيك(Glossématique) «وهو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (Glossa) بمعنى كلمة أو لغة، ومنها(Glossary) بمعنى قائمة مفردات، ومعنى الكلمة: لغة الرياضيات»[2].

والغلوسيماتيك تقوم على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها وحادت في نظرها عن مجال اللغة بانتصابها خارج الشبكة اللغوية «التي تهدف إلى معرفة مصادرها الأولى ما قبل التاريخ وجوانبها الفيزيائية والظواهر الاجتماعية والأدبية والفلسفية، والنسقية تنصب على العكس من ذلك داخل اللغة فهي تصدر منها وإليها ولا تخرج عن دائرة اللغة المنظور إليها... وهي تسعى إلى إبراز كل ما هو مشترك بين جميع اللغات البشرية، وتكون اللغة بسببه هي مهما تبدل الزمن وتغيرت الأحداث»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص 25

[2] إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص 27

[3] محمد الأمين شيخة، أهم المدارس اللسانية العربية والغربية، 2013، ص3

وهكذا تضع الغلوسيماتيك نظرية تتسع إلى جميع العلوم الإنسانية، فكل إجراء عملي يقابله إجراء نظري، والإجراء يمكن تحليله من خلال العناصر التي يشكلها بكيفيات مختلفة.

كما حاولت هذه المدرسة أن تتميز عن مدرسة "براغ" بتوظيفها لمفاهيم لغوية مختلفة مرتبطة بالمفاهيم المنطقية الرياضية،«كما لم يكتف "هلمسليف" بمجرد أعمال "دي سوسير" وشرحها على الصورة التي وردت في مؤلفه "محاضرات في علم اللغة العام" بل قام ببسط مفاهيمها والتدقيق في عرضها لصياغة نظرية بنوية لسانية صارمة ذات توجه منطقي رياضي...وهي نظام من القضايا والقواعد الأولية التي تندرج ضمنها مفاهيم "دي سوسير" الأساسية عبر منهجية استنباطية دقيقة»[1].

ولقد حاولت النظرية الغلوسيمية وصف الظواهر اللسانية وتحليلها وتفسيرها بطريقة علمية ورياضية منطقية، كما يقول " هلمسليف": «إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يمكن من فهم كل النصوص، من خلال الوصف المنسجم والشامل، إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية، والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانيات التأليف بين عناصر النص الثابتة»[2].

ومن أهم المبادئ التي انطلق منها" هلمسليف" في تحليلاته اللسانية ما يلي:

-اعتماد مصطلحات خاصة وجديدة منها على سبيل المثال: غلوسيماتيك (Glossématique)

[1] إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص 28

[2] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 159-160

وحدات التعبير (Cénémes)، وحدات المحتوى وتدعى مضامين(Plérémes)،«النظام (Système)، التحليل (Analyse)، النمط (Schéma)، الموظف(Functive)»[1]

وبتفريق " هلمسليف" بين الشكل والمادة عمد إلى التفريق بين المضمون والتعبير «فاستبدل ثنائية الدال والمدلول بثنائية (مستوى التعبير ومستوى المحتوى)، وأكد أنّ اللغة تكون من تجميع هذين المستويين علاقة تدعى العلامة اللغوية» [2].

والعلامة اللغوية علاقة تجمع بين الدال (مستوى التعبير) والمدلول (مستوى المحتوى).

ومستوى التعبير: هو عبارة عن مجموعة من الأصوات الخام قد تكون مشتركة بين اللغات، أما مستوى المحتوى فتمثله مجمع مواضيع الفكر الإنساني، وكل مستوى يخضع لثنائية الشكل والمادة فينتج عن المستويات الآتية:[3]

أ) شكل المحتوى أو المضمون: وهو تقريبا ما أشار إليه "سوسير" بلفظ المدلول.

ب) مادة المحتوى أو المضمون: وتمثلها الأفكار، أي الواقع الخارجي كما هو قبل أن تتناوله اللغة بالبناء والتنظيم.

ج) شكل التعبير: ويقصد به الدال وتهتم بدراسته علم ووظائف الأصوات اللغوية.

د) مادة التعبير: ويقصد بها مجموعة الأصوات المنطوقة في شكلها المادي (مادة الأصوات) قبل أن تصوغها اللغة.

---

[1] المرجع السابق، ص 160

[2] المرجع نفسه، ص 162

[3] المرجع نفسه، ص 162-163

ونلخص كل هذا بالمخطط الآتي:

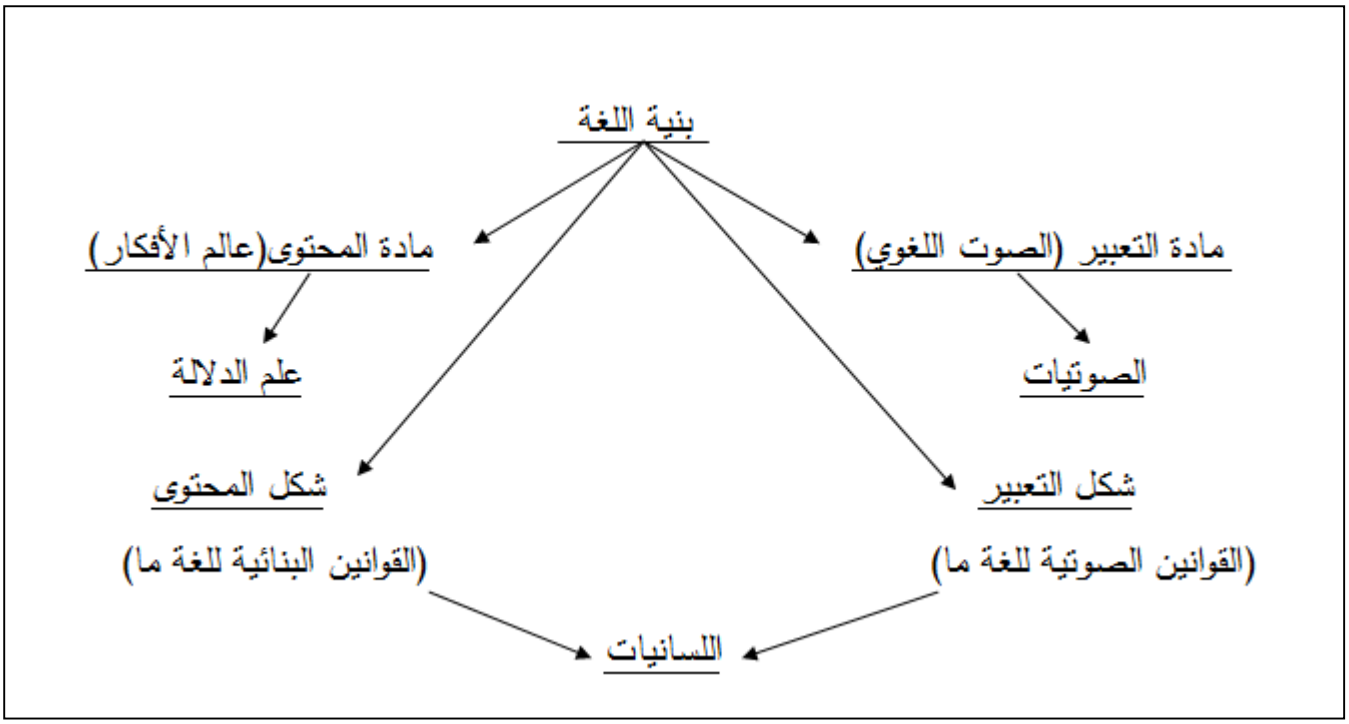

ونخلص إلى القول أنّ "هلمسليف" حاول توسيع المفاهيم السوسيرية وذلك في معالجة الظواهر اللسانية معالجة دقيقة على منوال العلوم الطبيعية والرياضية،«ورغم أهمية هذه الطريقة في دراسة اللغة، إلا أنها ظلت مغلقة غير واضحة، ذلك لأن "هلمسليف" وأتباعه مثل "أولدال" لم يطوراها في اتجاه بلورة نظرية ألسنية ميسرة لتفسير اللغة»[1]،هذا يعني أنّ هذه النظرية بقيت حبيسة جهود "هلمسليف" وأتباعه فقط، ولم تكن واضحة لغيرهم بسبب تعقيد المصطلحات وعدم شرح الأفكار أو تطويرها فأهملت وتركت ولم يمتد أثرها في الأبحاث اللسانية التي جاءت بعدها.

[1] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار أبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 25

3-المدرسة الوظيفية (Fonctionnelle):

تعد مدرسة "براغ" أفضل من يمثل الاتجاه الوظيفي في دراسة اللغة، «وقد نشأت في أحضان نادي "براغ" اللساني الذي أنشأه العالم التشيكي "فيلام ماثيزيوس" وبعض معاونيه سنة 1926، وعرفت بالمدرسة الوظيفية أو الفونيمية وبلغت ذروتها في الثلاثينات»[1].

تحديدا عندما انضم إليها سنة 1928 ثلاثة لسانيين روس هم:

"رومان جاكبسون"، و"سيرج كرسفسكي"، و" نيكولاي تروبتسكوي"، ومنذ 1930 ازداد توسع المدرسة لينضم إليها لفيف من اللسانيين الفرنسيين : "أندري مارتيني"، و"إميل بنفست"، وغيرهم من لسانيين أوروبيين.

منهج الدراسة: سميت المدرسة الوظيفية انطلاقا من تحديدها لمنهجها باعتبارها اللغة نظاما وظيفيا « يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، وباعتقادها أن البنى الصياتية، والقواعدية والدلالية محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها»[2]، فالباحث في هذه المدرسة يحاول دائما أن يكتشف ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة التبليغ أم لا.

-المعنى والوظيفة هما جوهر اهتمامات المدرسة الوظيفية الأوروبية، وبناءً عليه فإذا أراد الباحث تحليل المدونة اللسانية (سلسلة كلامية) تحليلا وظيفيا «عليه أن يحصي مجموعة من الوحدات

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ص 136

[2] إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص20

اللغوية، ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف (أي يقابل بينهما) وإذا تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية أي وظيفتها»[1].

فلو أخذنا مدونة مكونة من[2] (قاد–عاد–ساد)، ثم قمنا بتقطيعها إلى أصغر الوحدات غير الدالة أي الفونيمات لاتضحت الفوارق و التشابه سواء على مستوى المخرج أو الصفة على النحو التالي:

/ق/: لهوي+مجهور+شديد+مستعلي

/ع/: حلقي+مجهور+بيني

/س/:أسناني+مهموس+صفيري

نستنتج أن هذا التقابل بين الفونيمات على مستوى الصفة أو المخرج يؤكد أن لها جميعا وظيفة، وهي قدرتها على تغيير معاني هذه الكلمات.

وعلى هذا يجب على المحلل أن يختار عددا من القطع الكلامية من مدونته حيث لا تختلف ألفاظها ومعانيها إلا بالشيء القليل ثم يقارن بعضها ببعض لكي تستخرج منها الأجزاء الصغيرة التي تتحقق لفظا ومعنى.

أهم إنجازاتهم:

–حللوا اللغة بهدف إبراز الوظائف التي كانت مكوناتها البنيوية المختلفة تؤديها في استعمال اللغة بأجمعها.

[1] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص17

[2] المرجع نفسه، ص17

– «لم يكتف علماء "براغ" بوصف اللغة بل تجاوزوها إلى التفسير، ومن ثم تحدثوا عن سبب اتخاذ اللغات أشكالها التي وجدت عليها»[1].

– «اهتموا بدراسة الجوانب الجمالية والأدبية للغة، كما كانت اللغة لديهم وسيلة لنقل الأفكار»[2].

نستنتج في الأخير أنّ الاتجاه الوظيفي يعنى بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات معينة، والجانب الوظيفي ليس منفصلا عن النظام اللغوي نفسه، فتداخل الأدوار والمشاركين في النظام النحوي حسب نمط معين في كل لغة مرتبط ارتباطا مباشرا بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة.

4-المدرسة التوزيعية (Distributionnelle):

صاحب هذه النظرية التي أنشأت حوالي 1930 بـ"الولايات المتحدة" هو "بلومفيلد"، وضعها كمنهج لساني بنائي محض وكرد فعل ضد القائلين بالنحو النظري المتصور في الأذهان فقط، ويعتبر "سابير" كذلك زعيم هذه المدرسة وإن كان أكثر تأثيرا إذ مازالت مبادئه هي السائدة بين جمهور الباحثين.

– ارتكز التوزيعيون بشكل واضح على مبادئ "سوسير" وإن بدا لنا بعض الاختلاف بينهم وبينه، «فكل لغة تؤلف نظاما مخصوصا وهو ما يقابل الاعتباطية عند "سوسير"، فموضع الكلمة في البنية محدد بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى، ومن هذه العلاقات تنشأ قيمة كل كلمة»[1].

---

[1] جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق و التطور، تعريب محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1417هـ، ص 105-106

[2] المرجع نفسه، ص 114

كما أنّ العناصر تتحدد بعلاقاتها داخل النظام، أي بعلاقاتها مع غيرها من العناصر اللغوية في التركيب الواحد،«وهو ما يسميه "سوسير" بالعلاقات الركنية أو السياقية التي تجمع بين كلمات جملة واحدة، حيث تستدعي كل منها الأخرى، لتشكل سياقا لغويا ذا دلالة، ولعلنا هنا واقفون على أهم مبادئ النظرية التوزيعية، حيث إنها ترى أنّ عملية التوزيع السليم التي تأخذ فيه الكلمة قيمتها وبالتالي علاقات منطقية ولغوية مع بعضها البعض هي التي تصل بنا في النهاية إلى المعنى السليم، ومن هنا جاء اسم النظرية التوزيعية»[2].

لتوضيح ذلك نضرب المثال الآتي:

تتوزع الجمل في العربية مثلا وفق أحد النظامين في الغالب:

– الجمل الاسمية: التي يتصدرها اسم (مسند إليه+مسند)

– الجمل الفعلية: التي يتصدرها فعل(مسند+مسند إليه)

وقد يخالف مستعمل اللغة أحد التركيبين إلى تركيب جديد بالزيادة أو بالحذف أو التقديم أو التأخير... دون أن يخالف نظام اللغة فيوزع مفرداته توزيعا سليما، لكن قد نكون إزاء متكلم جاهل بقواعد اللغة، فيوزع ما في ذهنه من مفردات توزيعا مختلا يختل به المعنى كأن يقول : (نضع الصحن في الطعام) وهو يريد (نضع الطعام في الصحن).

---

[1]كاثرين فوك، بيار لي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 39

[2]المرجع نفسه، ص 39

وقد أطلق "بلومفيلد" على المنهج الذي اتبعه في دراسة اللغة اسم المنهج المادي أو الآلي، «وهو منهج يفسر السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة على غرار ما تقوم به العلوم الفيزيائية والكيماوية في اعتمادها في تفسير الظواهر على تتابعات العلة والأثر»[1].

نفهم من هذا أن اللغة عند "بلومفيلد" ناتجة عن الاستجابة للمثيرات الخارجية وقد استعان في شرح فكرته هذه بقصته المشهورة عن "جاك" و"جيل": حيث افترض أن "جاك" و"جيل" كانا يتنزهان في الحديقة بين صفوف الأشجار، شعرت "جيل" بالجوع وتولدت لديها رغبة في الأكل، رأت تفاحة على الشجرة فأصدرت أصواتاً عبرت من خلالها عن هذا الجوع، فقفز"جاك" التي اشتكت من الجوع أو عبرت عنه.

«وقد قام "بلومفيلد" بتحليل هذه القصة كما يلي:

1- أحداث عملية سابقة للحدث الكلامي.

2- الحدث الكلامي.

3- أحداث عملية تابعة للحدث الكلامي»[2].

ومن هذا التحليل نستنتج أنّ الأحداث العملية السابقة للحدث الكلامي هو إحساس "جيل" بالجوع، ثم رؤيتها التفاحة.

أما الأحداث العملية التابعة للحدث الكلامي فهي قفز "جاك" لتسلق الشجرة، وقطف التفاحة لتقديمها إلى "جيل"، ويتضح لنا من هذا الجوع –حسب "بلومفيلد" – هو المنبه، وسلوك "جاك" بعد

[1] أحمد مومن' اللسانيات النشأة والتطور، ص 195

[2] المرجع نفسه، ص 196

استجابة له، وانطلاقا من هذا المبدأ السلوكي (مثير– استجابة) يفسر "بلومفيلد" كافة العادات اللغوية، حيث يعتبر اللغة إنتاجا آليا، واستجابة كلامية ناتجة عن حافز سلوكي.

ولقد طور"هاريس" النظرية التوزيعية حيث نشر مقالا تحدث فيه عن استعمال الرموز لتحليل الجملة كما تحدث عن الجملة التوليدية، وعن القواعد و القوانين اللازمة لتوليدها ولعل هذا المقال هو البذرة الأولى التي انطلقت منها أعمال اللغوي "تشومسكي" في نظريته التوليدية التحويلية.

ويرى "هاريس" أن المعنى ليس عنصرا رئيسيا في تقسيم الجمل وتوزيع مفرداتها متأثرا في ذلك بآراء "بلومفيلد"، وعلى الرغم من هذا التوجه إلا أنه وجد نفسه عند التطبيق يتحدث عن العلاقة الوثيقة بين المعنى الماثل في ذهن المتكلم، والمورفيمات انتظاما توزيعيا.

«ويستند المنهج التوزيعي على اختلاف مدارسه إلى اعتبار اللغة مجموعة من الوحدات التمييزية التي تظهرها عملية التقطيع أو التقسيم ويعتمد هذا المنهج طريقة شكلية في الوصول إلى المكونات المباشرة (المركبات الأساسية) والنهائية (المورفيمات)... والغاية من التحليل التوزيعي هي إظهار البناء المتدرج للعبارة»[1].

ونعرض المثال التالي بالعربية حتى يتوضح لنا معنى هذه العبارة:[2]

(الأولاد يشاهدون التلفاز) فالجملة تتألف من مكونين مباشرين هما:

1– الأولاد

2– يشاهدون التلفاز

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 306

[2] المرجع نفسه، ص306–307

ثم يتعرض كل من هذين المكونين إلى مكونات مباشرة أخرى فينتج عن ذلك:

1- الأولاد: تبقى نفسها

2- يشاهدون التلفاز :يشاهدون+التلفاز

وتحلل هذه المكونات المباشرة إلى مكونات نهائية أومورفيمات فتكون على هذا النحو:

1- الأولاد: أل+أولاد

2- يشاهدون: يشاهد+ون

3- التلفاز :أل+تلفاز

5-المدرسة التوليدية التحويلية:

إنّ نظرية التوليد والتحويل التي سطع نجمها في "الولايات المتحدة" مع "تشومسكي" نالت اهتمام علماء اللسان في الغرب والشرق، وأحدثت ثورة لغوية في علم اللسان الحديث، وفسرت هذه النظرية اللغة على أنها ظاهرة عقلية إنسانية إذ تعاين اللغة انطلاقاً من الذات المنتجة لها.

«تحدد النظرية الألسنية التوليدية التحويلية، موضوع دراستها بالإنسان المتكلم- المستمع السوي التابع لبيئة لغوية متجانسة تماما، والذّي يعرف لغته جيدا، ويمكن اعتبار المتكلم-المستمع، بالإضافة إلى اعتباره موضوع الدراسة الألسنية مصدر اللغة عندما يستعمل في أدائه الكلامي، معرفته الضمنية بقواعد اللغة»[1].

[1] ميشال زكريا، الألسنية والتوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1986، ط2، ص8-9

معنى هذا أنّ الإنسان الذي يتكلم لغة معينة يستطيع أن ينتج جمل لغته وأن يفهمها ويدلي بأحكام عليها من حيث الخطأ والصواب في التركيب وهذا ما يعرف في النظرية التوليدية التحويلية بالكفاية اللغوية.

ودراسة اللغة كما يرى "تشومسكي" لا ينبغي أن تتوقف عند المنهج الوصفي بوصفه مستقلا لا يتجاوز حدود المادة البشرية وإنما ينبغي أن تعيننا الدراسة اللغوية على فهم الطبيعة البشرية.

«إنّ الإنسان عند "تشومسكي" ليس آلة، إنه يختلف عن الحيوان ليس بقدرته على التفكير والذكاء فحسب ولكنه يتفوق عليه بقدرته على إنتاج اللغة، ولا شك عنده في أن اللغة هي أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، وليس من المعقول أن تكون لها هذه الأهمية، ثم تتحول إلى مجرد تراكيب شكلية يسعى الوصفيون إلى تجريدها من المعنى والعقل»[1].

وجه "تشومسكي" عنايته إلى الأطفال على وجه الخصوص، وعلى نحو مبكر فهم مثلا في سن الخامسة يستطيعون أن ينطقوا كل يوم مئات الجمل لم ينطقوها من قبل و يستطيعون أن يفهموا ما يقال لهم من كلام لم يسبق لهم أن سمعوه، معنى ذلك أن هناك أصولا عميقة في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة وهو يرى أيضا أن هناك مبادئ مشتركة في كل اللغات الإنسانية.

أهم مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية:

1- القدرة الكامنة والأداء اللغوي: هذان المصطلحان: الأداء (Performance) والقدرة الكامنة

[1] أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التحويلي، مجلة كلية التربية، العدد السادس ص 30

(Compétence) يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند "تشومسكي"، «فالقدرة الكامنة تنظم مجموعة القوانين المكونة للظواهر اللغوية والمولدة لها في سياق يعين مواقع الأبنية ويرسم أشكالها وفق نظام مخصوص»[1].

أما الأداء فهو: «الكلام أو هو الجمل المنتجة التي تبدو في فونيمات ومورفيمات تنتظم في تراكيب جملية خاضعة للقوانين اللغوية الكامنة» [2].

إذن فالأداء يمثل لنا استعمال الفرد المتكلم للقواعد والقوانين اللغوية الكامنة في ذهن الإنسان.

ويتضح لنا أنّ النظرية التحويلية تميز بين الكفاية اللغوية وبين الأداء الكلامي، فالكفاية تحدد بأنها معرفة متكلم اللغة بقواعد لغته بصورة ضمنية، والأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين من خلال قواعد هذه اللغة.

2-البنية العميقة والبنية السطحية: لقد وضع "تشومسكي" هذين المبدأين من أجل تيسير دراسة الجملة المنطوقة والمكتوبة وفهم دلالتهما فما مفهومهما؟ وما أبعادهما؟

إنّ رؤية اللغة بوصفها (عملا عقليا) أو (آلة للفكر) والتعبير الذاتي، يعني أن للغة جانبين: جانبا داخليا، وآخر خارجيا، وكل جملة يجب أن تدرس من جانبين، أما الأول فيعبر عن الفكر والثاني يعبر عن شكلها بوصفها أصوات ملفوظة.

---

[1] عبد الله عنبر، نظرية التوليد و التحويل بين القدرة الكامنة و الأداء اللغوي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد 36، العدد 2، 2009، ص 412

[2] خليل عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2004، ص 252

«هذه الأفكار التي انبثقت من الثنائية المتقدمة (الكفاءة اللغوية والأداء) هي ما يعرف عند "تشومسكي" بـــ(البنية العميقة و البنية السطحية) أو التركيب الباطني والتركيب السطحي».[1]

والبنية العميقة: «هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة»[2].

أما البنية السطحية: «فهي تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية، المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة»[3].

ومن هذا نستنتج أن الكلام الإنساني عند "تشومسكي" ينقسم إلى جانبين:

الأول ما ينطق به الإنسان وقد سماه (البنية السطحية)، والثاني ما يجري في أعماق الإنسان ساعة التكلم فيدفعه إلى تفضيل هذه الصيغة أو ذلك التركيب، وسماه (البنية العميقة) للكلام، إذ أنّ اللغة التي ينطق بها فعلا، إنما تكون تحتها عمليات عقلية عميقة، ودراسة بنية السطح، تقدم التفسير الصوتي للغة أما دراسة بنية العمق فتقدم التفسير الدلالي لها، والبنية العميقة تعبر عن المعنى بمقياس الكفاءة أو القدرة اللغوية.

3-بنية القواعد التوليدية التحويلية: تشكل أصول اللغة، في إطار النظرية التوليدية التحويلية تنظيمنا يربط بين الأصوات والمعاني، وتتألف من ثلاثة أقسام متماسكة يشتمل كل منها على تنظيم قواعدي وهذه الأقسام هي التالية: المكون الفونولوجي، والمكون التركيبي والمكون الدلالي.

---

[1] احمد كاظم العتابي،نظرية التوليد و التحويل بين القدرة الكامنة أو الأداء اللغوي، ص38

[2] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص52

[3] المرجع نفسه، ص53

«إنّ المكون التركيبي هو المكون التوليدي الوحيد أي المكون الذي يتناول فيما يتناوله، البنية العميقة للجمل ويعدد عناصرها المؤلفة في حين أن المكونين الآخرين هما تفسيريان، فبعد أن يثبت المكون التركيبي بنى الجمل، يفسر المكون الدلالي معاني هذه البنى و يفسر المكون الفونولوجي أصواتها، ويظهر المخطط التالي تداخل المستويات في القواعد التوليدية التحويلية»[1].

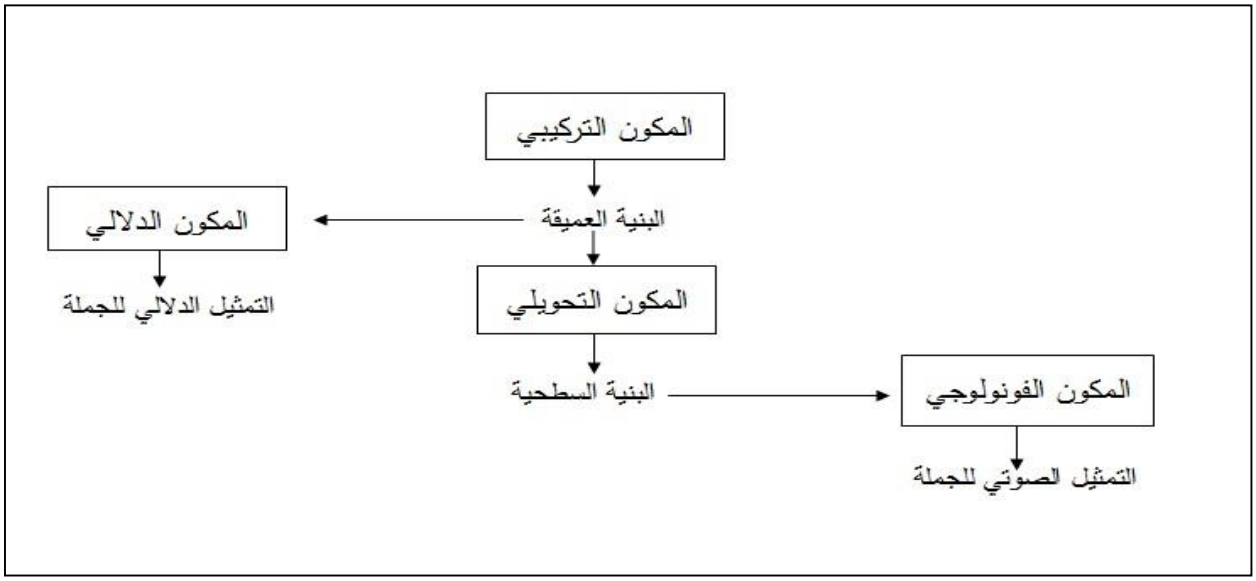

يتضح لنا من هذا النموذج أن البنية العميقة تعد أول مرحلة من عملية إنتاج الجملة وتبدو على شكل مؤثر نسقي يحمل كل المعطيات الدلالية، أما البنية السطحية فهي أخر مرحلة في هذه العملية والتي تخضع بدورها للتمثيل الفونولوجي فيتحصل على الشكل المادي للجملة، والمكون التحويلي هو الذي يحول البنية العميقة إلى بنية سطحية من خلال قواعد معينة مثل: الإضافة والحذف...

[1] ميشال زكريا، الألسنية و التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية، ص15

– «تبين أن نظرية التحويل تظهر اتفاقا لافتا ونظرية النحو العربي فالرتبة والحذف والزيادة والأصالة والفرعية والبنية السطحية والبنية العميقة والقدرة الكامنة والأداء اللغوي عناصر مشتركة بينهما...تظهر نظرية التوليد والتحويل اتفاقا لافتا ومنهج "سيبويه" في التحليل اللغوي، فلم يكتف "سيبويه" بتصنيف العناصر اللغوية في مستواها السطحي بل عمد إلى البنية العميقة مظهرا أثرها في تكوين الطاقة التعبيرية، فالحركة الإعرابية والحذف والزيادة عناصر تحويلية لها أهمية عند "سيبويه" في نقل التركيب من معنى إلى آخر»[1].

من خلال هذا القول هل يمكن القول أن "تشومسكي" تأثر بالتراث اللغوي العربي ؟ مع العلم أن أصله يهودي، وقد درس العبرية، وسبق لنا القول أن النحو العبري تأثر تأثيرا واضحا بالنحو العربي ونحاة العبرية الذين عاشوا في كنف المسلمين في الأندلس قد أقاموا درسهم النحوي للغة العبرية على طريقة العربية ومنهجهم في درس العربية، فهل اطلع "تشومسكي" على النحو العربي ودرسه كما اطلع على نحو العبرية ودرسه؟ لن نحتاج إلى الترجيح أو الاستنتاج فهو يؤكد ذلك في مقابلة له إذ يقول:«قبل أن أبدا بدراسة اللسانيات السامية، ومازلت اذكر دراستي للآجرومية منذ عدة سنوات خلت – أظن أكثر من ثلاثين عاما– وقد كنت أدرس هذا مع الأستاذ "فرانز روزنتال"... وكنت وقتذاك طالبا في المرحلة الجامعية أدرس في "جامعة بنسلفانيا"، وكنت مهتما بالتراث النحوي العربي والعبري»[2].

[1] عبد الله عنبر، النظرية التوليد و التحويل بين القدرة الكامنة و الأداء اللغوي، ص410–417

[2] مازن الوعر، لقاء مع "نوام تشومسكي"، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد السادس، 1983، ص72

*الآجرومية: كتاب مختصر مشهور في النحو العربي "لابن أجروم" الذي عاش في القرن الثامن الهجري.

*المستشرق "روزنتال" من المستشرقين الذين كانوا يعرفون العربية و آدابها ومن أهم آثاره: "مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي".

وبهذا نرى أنّ "تشومسكي" كان وثيق الصلة في شبابه باللغة العربية ونحوها كما كان وثيق الصلة باللغة العبرية، لغة قومه.

ونخلص إلى أنّ مناهج الدرس اللغوي الحديثة سهلت على الباحثين وقصرت عليهم الطريق للوصول إلى الغاية المنشودة من البحث العلمي وجعلت النتائج أكثر دقة وتتميز بالشمول واليقين والموضوعية.

وعلم اللغة يهدف إلى دراسة الكلام الإنساني محددا منهجه على أسس موضوعية للعلم فالطابع العام له طابع تجريدي لأن "سوسير" أصر على أن يكون درسه موجها للغة في ذاتها واتسم منهجه بالوصفية حتى انتهى به الأمر إلى وضع معادلات رياضية جعلته يبتعد كثيرا عن الظواهر الإنسانية ثم جاءت النظرية التوليدية التحويلية ل"تشومسكي" التي انطلقت بوصفها ثورة على المنهج الوصفي ودعاة البنوية، والمناهج اللغوية الغربية ليست غريبة عن علماء اللغة العرب قديما فقد عرفوا هذه المناهج لكنهم خلطوا فيما بينهما وهم معذورون في ذلك فلم تكن لديهم التقنيات الحديثة ولا المعامل التجريبية المتوفرة في العصر الحديث، ورغم ذلك فلهم إشارات تستحق التقدير، وكانت هي التي مهدت الطريق لمن جاء بعدهم فطوروا النظريات اللسانية سواء من العرب أو الغرب.

2) تقاطع النظريات اللسانية الحديثة مع الدرس اللغوي العربي:

بعد أن توضحت لدينا معالم الموضوعات التي تناولها علماء اللغة القدماء والمحدثون، وتبين لنا اتفاقهم الكبير في خوض هذه الموضوعات، والأخذ بها في مصنفاتهم اللغوية، لا بد لنا أن نعرف شيئا عن طبيعة البحث فيها والنتائج التي توصل إليها الدرسان القديم والحديث، لنقف من خلال ذلك على مدى ما أصاب فقه اللغة عند العرب من مظاهر التقدم، وما أحرزه من نتائج أقرها العلم الحديث، وذلك بعرض اثنتين من المسائل التي عالجها الفريقان في دراساته اللغوية وهما: نشأة اللغة، وعلم الأصوات اللغوي.

1/ نشأة اللغة:

لما كانت اللغة قديمة قدم الإنسان، فالاهتمام بها موغل في القدم أيضا، فلقد شغل العلماء تفكيرهم لعدة قرون بالبحث عن نشأة اللغة الإنسانية، وما هي أقدم لغة في العالم ؟ وهل نشأت جميع اللغات من مصدر واحد؟

تساؤلات عديدة مرت بالنقاش الذي يعود إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام مضت، ولم يتوصل أحد للإجابة الشافية عن هذه التساؤلات الحائرة حول نشأة اللغة.

«وفي القرن التاسع عشر– في عام 1866م– أصدرت الجمعية اللغوية بباريس قانونا يمنع مناقشة هذا الموضوع في الندوات واللقاءات العلمية التي تقام بشأن اللغة، وذلك لأن علم اللغة الحديث يتناول اللغة تناولا علميا، يقوم على المنهجية والدقة والتعامل مع الواقع اللغوي الحي، أما المسائل التّي هي في علم الغيب وبخاصة تلك اللغات التي اندثرت، فالكلام فيها من قبيل الظن هو

احتمالي وليس يقينيا»[1]، لكن مع ذلك استمرت المحاولات وعاد الاهتمام في العصر الحاضر، بالتعرف على نشأة اللغة، فظهرت العديد من النظريات سواء للعرب أو للغرب للتوصل إلى نشأة اللغة الإنسانية عموما، ولم يصلوا في بحثهم إلى نتائج يقينية توضح كيفية نشأة اللغة الإنسانية منذ البداية فكانت معظم آرائهم مصطبغة بالطابع الشخصي ولم تتجاوز مرحلة الفرض المبني على الظن والحدس، وتوصلوا إلى نظريات عديدة أشهرها:

1-نظرية التوقيف والإلهام:

يرى أصحاب هذه النظرية أنّ اللغة الإنسانية إلهام ووحي من الله عزّ وجلّ لا يد للإنسان في وضعها فهو أعجز من ذلك فهي إذا توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها.

ويرون أنّ الله لقن "آدم عليه السلام" كل شيء يتعلق باللغة نحو تقطيع الأصوات وتركيب الكلمات ووضعها بإزاء معانيها، ويعتمد مؤيدو هذه النظرية على أدلة نقلية من الكتب السماوية ومن قال بهذا الرأي عند العرب "ابن عباس" (ت 68 هـ) محتجا بقوله تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) سورة البقرة الآية31، وكان يقول في تفسير الآية الكريمة: «علمه الأسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة، وأرض، وسهل، وجبل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها، وروى "حصيف" عن "مجاهد" قال :علمه اسم كل شيء، وقال غيرهما إنما علمهما أسماء الملائكة، وقال آخرون :علمه أسماء ذريته أجمعين»[2].

[1] محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001،ص 77

[2] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ص 444

وذهب "أبو علي الفارسي" (377هـ)إلى هذا أيضا ونقل عنه تلميذه "ابن جني" (392هـ) أنه قال: «هي من عند الله و احتج بقوله سبحانه(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)»[1].

ولا نعدم أن نجد بين دارسي اللغة المحدثين من أخذ بهذا الرأي كالأب "لامي" في كتابه "فن الكلام" والفيلسوف "ديبونالد" في كتابه "التشريع القديم" معتمدين في ذلك على ما ورد في "سفر التكوين"،ك«وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم، ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية، فهو اسمها، فسمى آدم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية»[2] .

والواقع أن مذهب توقيف اللغة، مذهب غير متقبل في العلم اللغوي الحديث، لافتقاره إلى الحجة العلمية المقنعة من جهة ولمخالفته سنن التطور المنطقية وطبيعة نشأة الظواهر الاجتماعية من جهة أخرى، فلو كانت اللغة توقيفية من عند الله لما جاز لنا أن ندخل فيها أي شيء .

2-نظرية التواضع والاصطلاح:

تقرر هذه النظرية أن اللغة ابتدعت ابتداعاً، وأن ألفاظها ارتجلت ارتجالاً، وقد أيدها كثير من العلماء والفلاسفة الغربيين والمسلمين، ومن أشهرهم "ابن جني" إذ يقول : «إن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة، وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء فيضعوا لكل منهل سمة ولفظا إذا ذكر عرف به ما مسماه ليمتاز من غيره....فكأنهم جاءوا إلى

[1] ابن جني ، الخصائص ، ج1،ص 40

[2] سفر التكوين 2/ 19 - 20

واحد من بني آدم فأومأوا إليه وقالوا :إنسان، إنسان، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أنّ المراد به هذا الضرب من المخلوق»[1].

ويبدو أنّ أول من أشار إلى هذا المذهب وأخذ به "أبو الحسن الأخفش" (ت211هـ)، «ورأى أنّ اللغة لم توضع كلها في وقت واحد، وإنما تلاحق وضعها وتتابع».[2]

وقد ذكرنا أنّ "ابن جني" مال إلى التوقيف فعاد هنا ليميل إلى التواضع فقال: «غير أنّ أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف».[3]

أما عند العلماء الغربيين المحدثين فقد مال إلى هذه النظرية بعض الفلاسفة الانجليز خاصة "آدم سميث".

وأول من قال بهذه النظرية كان الفيلسوف اليوناني "ديموقريطس" الذّي «اعتبر منشأ اللغة عملية تواطئية لأنّ الاسم الواحد ذاته كثيرا ما يقبل عدة أسماء أو قد يتبدل اسمه ولا يتبدل هو، وتوسعاً بهذا المبدأ انتهى "ديموقريطس" بأنّ الأسماء تعطي للأشياء من لدن الإنسان لا من لدن قوة إلهية»[4].

على الرغم من منطقية ما تطرحه هذه النظرية فإنها تعرضت لعدة انتقادات ومنها الاعتراض القائل بحاجتنا إلى لغة تكون وسيلة التخاطب حتى نتمكن من وضع لغة، وأشار إلى هذه الفكرة العالم الألماني "ماكس مولر" الذّي رأى أنّ «اللغة الإنسانية الأولى لم تكن نتيجة تواضع

---

[1] ابن جني، الخصائص،ج 1، ص 42

[2] المرجع نفسه،ص 40

[3] المرجع نفسه، ص 40

[4] محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2، ص56

واصطلاح خلافاً لما ذهب إليه أصحاب النظرية التواطئية إذ لو كان الأمر كذلك لوجب أن يكون في أيدي المتواضعين وسيلة للتفاهم فيما بينهم، ولا يمكن أن تكون هذه الوسيلة اللغة الصوتية لأنّ المفروض أن اللغة الصوتية هي موضوع التواضع»[1]، ويرى عند العرب هذا الرأي "السيوطي" و"ابن تيمية".

3-نظرية المحاكاة والتقليد:

تخلص هذه النظرية بأن نشأة اللغة بدأت محاكاة للأصوات الطبيعية وتقليدا للأصوات المسموعة من الحيوانات والأشجار، وصوت الرعد وغيره، ثم تطورت الألفاظ الدالة على المحاكاة، وارتقت بفعل ارتقاء العقلية الإنسانية وتقدم الحضارة.

وقد عرض لهذا الرأي من العلماء العرب "ابن جني" فقال :«وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس وتريب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»[2] .

والراجح أنّ " الخليل"(175هـ) أول من تنبه إلى ذلك وأشار إليه ولعل "ابن جني" يقصده بقوله (بعضهم)، و"الخليل" لم يصرح بأن هذا المذهب في تفسير نشأة اللغة كان ماثلا لديه، ولكننا نلمح من خلال معالجاته لبعض الألفاظ من حيث المناسبة الطبيعية بينها وبين مدلولاتها وذلك

[1] المرجع السابق، ص64

[2] ابن جني، الخصائص، ج1، ص46

كقوله: «صر الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة، كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا».[1]

وعلى هذا المذهب الأعم الأغلب من دارسي اللغة المحدثين، لما وجدوه من مجانسته لقوانين التطور اللغوي وبنائه على أسس المنطق العلمي، ولما قدم لهم البحث من أدلة لغوية وتاريخية تدعم هذا الرأي، وعلى رأسهم العالم الألماني "هردر" في كتابه "بحوث في نشأة اللغة " الذي نشره سنة 1972، وكذلك العالم "وتني".

لم تسلم هذه النظرية أيضا من الاعتراضات والنقد ومن ذلك أنها تنزل بالإنسان إلى ما هو أقل منه، فليس من المعقول عند المعترضين أن يقلد الإنسان صوت الحيوان والأصوات المسموعة الأخرى، ولو كانت النظرية صحيحة لكان هناك اشتراك بين اللغات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة.

4-نظرية الغريزة الكلامية :

هي إحدى النظريات الحديثة ويرى أصحابها أن اللغة الأولى نشأت عن طريق الغزيرة الكلامية، فقد خلق الله الإنسان الأولى مزوداً بها والتي أصبح بفضلها قادراً على التعبير عن الانفعالات كالسرور، أو الغضب، أو الحزن التي تدفع الإنسان إلى أداء حركات أو نطق الأصوات معينة وممن قال بهذه النظرية الفرنسي "رينان" والألماني "مولر" وهما من أشهر العلماء اللغة الأوربيين.

[1] المرجع السابق ،ج 2، ص52

ولعل الذي دعا "ماكس مولر" إلى وضع هذه النظرية ملاحظة الأطفال في حياتهم اليومية التي تدل على أنهم تواقون إلى وضع أسماء للأشياء التي يرونها ولا يعرفون لها أسماء وأنهم يبتكرون أسماء لم يسمعوها من قبل، إرضاء لرغبتهم الفطرية في التكلم والتعبير عن أغراضهم فاستنبط من ملاحظة هذه أن الإنسان مزود بتلك القدرة التي تنشأ عنها الألفاظ .

وإذا أرجعنا إلى لغوبينا القدماء نستعرض آراءهم في نشأة اللغة، نجد من بينها ما يشير إلى التفاتهم إلى هذه النظرية وأخذهم بها وإن لم تكن واضحة عندهم لدرجة اتخاذها مذهباً، ولعل أول هذه الإشارات ما نقلناه من ذهاب " أبي علي الفارسي" و"ابن جني " في تفسير الآية (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) أي أنّ الله خلق القدرة على التكلم عند آدم أي الغريزة الخاصة أو الفطرة وذلك ما نجده في كلام " ابن جني " على الترادف إذ يقول :« فأعجب للطف صنع الباري سبحانه في أن طبع الناس هذا وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله وهداهم للتواضع عليه وتقريره »[1].

وقد وجه النقد لهذه النظرية ومنه أن الغزيرة الكلامية لم يعرف كيف استخدمت أول مرة للتعبير عن حاجة الإنسان وكيف انطوت نفسه على تلك الألفاظ الكاملة؟ وإن كان قد زود بفطراته بهذه الألفاظ، فلم اختلفت اللغات وتعددت اللهجات؟

وهكذا نرى أن النظريات التي حاولت تفسير نشأة اللغة رفضت جميعا، لأنها لم تفسير إلا جانبا ضيقا جدا من اللغة وعلم اللغة الحديث لا يبحث إلا فيما تؤكد المادة المحسوسة فهو يرفض الحدس والخيال والتوهم.

[1] ابن جني الخصائص ،ج 2، ص117

2/علم الأصوات اللغوي:

إنّ علم الأصوات لم يعرف بهذا الاسم عند العرب إلا في مرحلة لاحقة، وهو لم يغب عن مصنفات علماء العربية (نحوها وصرفها، وعروضها وبلاغتها، وكذلك في الطب والموسيقى والقراءة والتجويد)، ذلك أنه مازج بين هذه العلوم المختلفة حتى لا تكاد تقع على كتاب فيها يخلو من كلام في علم الأصوات.

لقد درس العرب والمسلمون الظاهرة الصوتية دراسة نطقية –فيزيولوجية ودراسة فيزيائية ثم دراسة سمعية دماغية، ولكن معلوماتهم حول هذه الظاهرة جاءت مبعثرة لا يجمعها منهج أو نموذج واحد متماسك.

– أما الدراسة الفيزيولوجية–النطقية: فنجدها عند اللغويين والأطباء العرب أمثال: "الخليل بن أحمد" و"سيبويه" و"ابن سينا" في كتابه "أسباب حدوث الحروف".

– والفيزيائية نجدها عند علماء الرياضيات أمثال "الحسن بن الهيثم" و"الخوارزمي".

– السمعية الدماغية نجدها عند علماء التجويد، وعلماء الموسيقى أمثال "زرياب" و"إبراهيم الموصلي".

يعد الدرس الصوتي عند العرب من أصل الجوانب التي تناولوا فيها دراسة اللغة، وبني هذا الدرس على القراءات القرآنية، وقد دفعت قراءة القرآن علماء العربية القدماء إلى تأمل أصوات اللغة، ولعل هذا الجهد الكبير بدأ بمحاولة "أبي الأسود الدؤلي" ضبط القرآن بالنقط عن طريق ملاحظة حركة الشفتين، وقد ذكرنا من قبل في هذا البحث أنه كان يقول لمن يكتب له: «إذا رأيتني قد فتحت فمي فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف،

وإن كسرت، فاجعل النقطة من تحت الحرف»، ولابد من الإشارة إلى أنّ ثمة كتبا تحمل اسم الأصوات أو ما يشاكلها لم تصل إلينا لكن المصادر حفظت أسماءها مثل: «كتاب "الأصوات" لـ"قطرب النحوي" (206هـ) تلميذ سيبويه، و"الأصوات" لـ"الأخفش" (215هـ) ولـ"يعقوب بن السكيت" (246هـ) ولـ"ابن أبي الدنيا" (281هـ)، وكتاب "الصوت والبحة" لـ"يحي بن ماسويه"»[1].

وبرزت عناية العرب بالصوتيات منذ عهد "الخليل" (175هـ) و"سيبويه" (180هـ) إلى عهد "ابن جني" الذي عني بها عناية خاصة وعقد لها كتاباً خاصا هو "سر صناعة الإعراب"، «وهو الكتاب الذي تضمن مباحث متنوعة تناولت الصوت من الناحية العضوية والناحية الوظيفية»[2].

ويعد "ابن جني" «أول من أطلق عليه مصطلح "علم الأصوات"، هذا الاسم الذي لا يزال مستعملا حتى الآن»[3].

«ولقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية، شهد المحدثون الأوربيون أنّها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم وقد أرادوا بها خدمة العربية، وإيصالهم بفصحاء العرب، كانوا مرهفي الحس دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت وصفا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم»[4].

فقد قال المستشرق الألماني "برغشتراسر": «لم يسبق الأوربيين إلا قومان العرب والهنود»، وقال "شاده": عن الأصوات عند "سيبويه":« فيستحق ما قد وصل إليه من غايات علم الأصوات أن نعتبره كما أجمع كل من درسه من علماء الأصوات مفخراً من مفاخر العرب»[1].

---

[1] محمد حسان الطيان، علم الأصوات عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 2007، ص06

[2] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص63

[3] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص101

[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط4، 1979، ص05

أ- المعاجم وعلم الأصوات:

إنّ أصحاب المعاجم هم أقدم من تحدث عن الصوتيات من العرب والناظر في معجم "العين" ل"الخليل" يرى أنه من أهم الدراسات الصوتية «وخاصة مقدمته التي تنم عن حس لغوي دقيق، فلقد أحس "الخليل" بكثير من جوانب المشكلة الصوتية، إذ تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها من همس وجهر وشدة ورخاوة ونحوها، وعما يحدث للصوت في بنية الكلمة من تغيير يفضي إلى القلب أو الحذف أو الإعلال أو الإبدال أو الإدغام، وذكر عددا من القوانين الصوتية، وعددا من المسائل الصوتية واللهجية والقراءات»[2].

وقد خالف "الخليل" الترتيبين الأبجدي والألفبائي في دراسته للأصوات اللغوية فكان ترتيبه للحروف العربية وفق المخارج، فبدأ بأصوات الحلق ثم باقي الحروف منتهيا بالحروف الشفوية، وقد جعل المخارج الصوتية ثمانية مخارج هي:

«فالعين والحاء والخاء والغين: حلقية لأنّ مبدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويتان لأن مبدأهما من اللهاة، والجيم والشين والضاد: شجرية لأنّ مبدأها من شجر الفم، والصاد والسين والزاي: أسلية لأنّ مبدأها من اللسان، وهو مستدق طرف اللسان، والطاء والتاء والدال: نطعية لأنّ مبدأها من اللثة، والراء واللام والنون: ذلقية لأنّ مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفيه كذلق السنان،

[1]محمد حسان الطيان، علم الأصوات عند العرب، ص02-03

[2]عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد15-16، 1984، ص 03

والفاء والباء والميم: شفوية لأنّ مبدأها من الشفة، والياء والواو والألف: هوائية في حيز واحد لأنها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء»[1].

لا يخفى إذا أنّ الدرس الخليلي الصوتي يدل على عبقرية صاحبه «خاصة من خلال التقسيم الفيزيولوجي والتصنيف الدقيق بحسب مخارجها: لهوية شفوية...مما يدل على إمكانياته وريادته دون أن يكون لديه شيء من الإمكانيات الحديثة من آلات تسجيل أو تصوير أو معرفة بنظريات التشريح»[2].

أما "سيبويه" فقد استطاع أن يحدد لكل مجموعة من الأصوات مخرجا معينا، وقدم له وصفا دقيقا، وبذلك يكون قد خالف أستاذه "الخليل" في نظرته إلى مخارج الحروف فعدها "الخليل" ثمانية و"سيبويه" ستة عشر مخرجا حيث يقول:«وحروف العربية ستة عشر مخرجا فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها مخرجا، الهمزة والهاء والألف (ألف المد)، ومن أوسط الحلق: مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء»[3].

ويستطرد "سيبويه" في عرض المخارج الباقية هكذا: «من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والباء، ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد، ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان وما بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك والناب

[1] حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص45-46

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص104-105

[3] حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص46

والرباعية والثنية مخرج اللام، ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون، ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء، ومن بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والتاء، ومما بين الثنايا وطرف اللسان وأطراف الثنايا العليا والسفلى مخرج الظاء والثاء والذال، ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء، ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو، ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة»[1].

ولقد وضع "ابن جني" مؤلفا كاملا لدراسة الأصوات العربية وهو كتاب "سر صناعة الإعراب" إلى جانب آرائه المبثوثة في مؤلفاته الأخرى، وهو لا يختلف كثيرا عما ذكره "سيبويه" في تقسيمه الأصوات العربية على مخارجها، بل نجده يتفق مع عبارته إلى حد المطابقة: «أعلمك أنّ مخارج الحروف ستة عشر» ثم يتابع على نحو ما ذكر "سيبويه"، وليس ثمة اختلاف بينهما إلا في لفظة أو عبارة، كما ذكر في مخرج الضاد بزيادة عبارة :«إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر أو من كليهما»[2].

ب-القراءات القرآنية وعلم الأصوات:

إنّ علماء القراءة والتجويد وسمت مصنفاتهم بأنها أكثر احتفاء بالمادة الصوتية وذلك لابتغائها الدقة في نطق القرآن الكريم يقول "برغشتراسر":«كان علم الأصوات في بدايته جزءا من النحو ثم استعاره أهل الأداء والمقرئون وزادوا في تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن الكريم»[3].

---

[1] المرجع السابق، ص47

[2] المرجع نفسه، ص31-32

[3] مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي-أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت،ط2، 1986، ص149

ويعزو المؤرخون أول كتاب في القراءات إلى «"عبيد بن سلام" (224هـ) الذي جعل القراء خمسة وعشرين قارئاً...أما فن التجويد فأول من صنف فيه "موسى بن عبيد الله ابن خاقان" (325هـ) صاحب القصيدة الخاقانية في التجويد وهي تضم واحدا وخمسين بيتا في حسن أداء القرآن وقد شرحها "الداني" (444هـ) الذي أفرد بابا لذكر الحروف التي يلزم استعمال تجويدها وباباً في ذكر مخارج الحروف وآخر في أصنافها وصفاتها»[1].

ج-الطب وعلم الأصوات:

ألف "ابن سينا" (428هـ) رسالة فذة هي "أسباب حدوث الحروف" التي عالج فيها أصوات اللغة على نحو فريد لا نكاد نقع عليه عند أحد من المحدثين «وهو يتصل بعلم الأصوات النطقي Phonétique articulatoire"، فقد جاء حديثه فيها حديث العالم الفيزيائي حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح حين وصف الحنجرة واللسان، وحديث اللغوي المجود حين عرض لوصف مخارج الحروف وصفاتها، وحديث عالم الأصوات المقارنة حين تصدى لوصف أصوات ليست من العربية، وحديث فقيه اللسان وأسرار الطبيعة حين ربط بين أصوات الطبيعة وأصوات الحروف»[2].

من هذا نرى أنّ "ابن سينا" قد درس الأصوات دراسة تكاد تكون شاملة لكل جوانب الدرس الصوتي من دراسة نطقية، فيزيائية، لغوية... وذلك بالملاحظة الذاتية فقط في ظل غياب الأجهزة

[1] محمد حسان الطيان، علم الأصوات عند العرب، ص 12

[2] المرجع نفسه، ص10

المتطورة الموجودة في العصر الحديث وهذا دليل على عبقريته وكذلك ريادة العلماء العرب في مجال الدراسة الصوتية.

د) صفات الأصوات:

لقد اهتم علماء الأصوات المحدثون بوصف الجهاز الصوتي، وبيان وظيفته في دراسات مفصلة دقيقة واستعانوا في ذاك على أجهزة متطورة ومتعددة في وظائفها وهي على درجة عالية من الدقة في نتائجها فقدموا ثمرات عديدة لا تبتعد كثيرا عن معطيات قدماء العرب في هذا المجال، على الرغم من اعتمادهم على الملاحظات البسيطة فقط.

ومن أهم الدراسات التي وافقت ما جاء به العلماء العرب القدماء والعلماء المحدثين هي صفات الأصوات ومخارجها، فالتراث العربي يضع مباحث واسعة عن صفات الحروف وتصنيفها على وفق تلك الصفات وأقدم دراسة لصفات الحروف في العربية وأهمها ما ورد في "الكتاب" "لسيبويه"، حيث استعمل طائفة من المصطلحات التي وصف بها أصوات الحروف العربية واعتمد في ذلك على معيار تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج من الفم فقسمها إلى: المجهور، والمهموس، والشديد، والرخو، وما بينهما، والاطباق، والانفتاح، والاستعلاء، والاستفال، والقلقلة، والصفير، والتكرار، والانحراف.

-أما قضية الصوت المجهور فهو عند المحدثين «الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به...وليس معنى ذلك انعدام الذبذبات من النفس الذي معه ولكن المراد بهمس الصوت،

هو صمت الوترين الصوتيين معه»[1].

و"سيبويه" وإن لم يكن على معرفة بدور الوترين الصوتيين في حدوث الجهر والهمس، لكنه عرف أهم مظاهره في الصوت المجهور، حيث وصفه «بأنه متمكن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوربيون بقولهم(sonorité) »[2].

وفي قضية صفة اللين فقد جعلها "الخليل" خاصة بالألف فقال: «الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء»، وجعلها "سيبويه" لحروف المد الثلاثة حين قال :" وحروف اللين هي حروف المد التي يمد بها الصوت وتلك الحروف، الألف والواو، والياء"[3].

أما علماء الأصوات من المحدثين فإنهم أيضا لم يخرجوا عما جاء به القدماء في كون أن (الألف والواو والياء) أصوات لين ومد.

ونخلص من كل ما مر إلى أنّ العرب القدماء كانوا على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللغوية سواء نظريات نشأة اللغة أو دراسة الأصوات اللغوية وقد كانوا على جانب كبير من استيعاب ظواهر اللغة وفهم قوانينها، ووقفنا من خلال الموازنة بين معالجات القدماء والمحدثين على طول باع العرب في دراسة اللغة بحيث كانت أبحاثهم الرائدة في هذا المجال هي الأساس الذي بنى عليه المحدثون دراساتهم.

[1] إبراهيم انيس، الأصوات اللغوية، ص20

[2] المرجع نفسه، ص13

[3] أحمد محمد سالم الزاوي، الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات، مجلة كلية الأدب، القاهرة، العدد التاسع، ص14

إنّ هذا البحث المتواضع يرصد المجهودات التي قدمها الباحثون على اختلاف اتجاهاتهم بالدراسة والشرح والتحليل في أبحاثهم سواء العرب القدامى أو الغربيين، وبعد هذا الجهد يمكنني أن ألخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

– كانت خدمة القرآن من الناحية اللغوية أولا، وحماية العربية من الفساد والضياع ثانيا، هما الدافعين الرئيسيين اللذين دفعا بالعرب الأوائل إلى دراسة اللغة.

– اختلاط الدراسات اللغوية في مرحلة نشأتها، وظهور أثر ذلك في مؤلفات العرب القدامى.

– إنّ قضية الإعجاز القرآني كان لها الأثر البالغ في إثارة الجدل الواسع بين المتكلمين على اختلاف مشاربهم، فأفاد منها النحويون والبلاغيون والمقرؤون فكانت السبب الأساسي في قيام علم اللغة.

– إنّ تتبع التراث اللغوي العربي في كثير من محطاته المختلفة والمتنوعة، ودراسة وتحليل نصوصها ليس بالأمر الهين، وهذا يتطلب قراءة واعية لهذا الموروث، فضلا عن فهم أحدث ما كتب في علم اللسان.

– لم يقتصر الدرس اللغوي عند العرب على اللغويين فقط، بل على علماء التجويد والقراءات القرآنية وعلماء البلاغة، أما في مجال الأصوات فقد كان أيضا للأطباء والرياضيين إسهاماتهم.

– كان للعرب القدماء جهود معتبرة في الدرس الصوتي تنم عن فهم دقيق لطبيعة الصوت اللغوي، كما تدل على معرفتهم العلمية بالجهاز النطقي وأعضائه كما يتضح في صنيع "أبي الأسود

الدؤلي" من نقط الحروف بملاحظاته الذاتية، وما قدمه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" من تقسيم لأصوات اللغة وتحديد مخارجها معتمدا في ذلك على حسه الصوتي.

– أصالة الدراسات اللغوية عند العرب وعدم محاكاتها لدراسات الأمم التي سبقتهم، ويتمثل ذلك في وضع المعجمات اللغوية، وفي الدراسات الصوتية، والنحو.

– إنّ المناهج اللغوية الغربية الحديثة ليست غريبة عن علماء اللغة العرب قديما فقد عرف العرب القدماء هذه المناهج لكنهم خلطوا فيما بينها وهم معذورون في ذلك فلم تكن لديهم التقنيات الحديثة ولا المعامل التجريبية المتوفرة في العصر الحديث، فجاءت دراساتهم معتمدة على الذوق والحس المرهف وعمق الاستقراء؛ لذا يجب أن نثمن ما خلفوه لنا من جهد جهيد لا يمكن أن نستغني عنه أو نتغافله على مر الأزمان.

–أرى أنّ الدراسات اللغوية الحديثة قامت على قواعد الدراسات التراثية عند العرب، ولا أستبعد أنّ المحدثين من علماء اللغة الغربيين قد اطلعوا على ما خلفه علماؤنا من دراسات لغوية واستفادوا منها في دراساتهم الحديثة.

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أ) الكتب:

1. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط4، 1979.
2. ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح:إبراهيم السامرائي، بغداد، 1970، ط2
3. ابن جني، الخصائص، تح:علي التجار، دار الكتب، مصر، ط3،ج1
4. ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، ج3
5. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، 1984
6. أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1973م، ج2
7. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999
8. أحمد زلط-أحمد محمد عطا، مصادر التراث العربي، جامعة قناة السويس، الإسماعيلية، 2007م
9. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1971م
10. ـــــــ، البحث اللغوي عند الهنود، دار الثقافة، بيروت، 1972
11. أحمد مومن، اللسانيات النشأة و التطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر

12.السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: الزيني وخفاجي–مصطفى البابي، القاهرة، 1955م

13. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو،تح: أحمد صبحي فرات، مطبعة كلية الآداب، استانبول، 1975

14. بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، تعريب حمزة طاهر، دار المعارف، مصر، ط3

15. تمام حسان، الأصول–دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم دار الكتاب، القاهرة،2000م

16. ـــــــ ، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتاب، القاهرة، ط4، 2001

17. ـــــــ ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994

18. جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تعريب محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1417هـ

19. حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب(ونظريات البحث اللغوي الحديث)، دار المناهل للطباعة، مصر، ط1، 1994م

20. ـــــــ ، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004

21. خليل عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي، دار وائل، عمان، الأردن، ط1، 2004

22. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988م، ج1

23. سفر التكوين 2

24. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004

25. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية (القياس في الفصحى، الدخيل في العامية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م

26. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005م

27. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية، مصر،1996

28. علي زوين، منهج البحث اللغوي(بين التراث وعلم اللغة الحديث)، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1986م

29. فاضل صالح السامرائي، الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، دار النذير، 1970م

30. فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، دار العربية للكتب، طرابلس، ليبيا

31. كاثرين فوك، بيار لي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ترجمة منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984

32. كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1973م

33. محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط2

34. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ط2

35. محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب–إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980

36. محمد طهطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المنار، القاهرة،1991

37. محمد عبد الله ابن التمين، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي،2008 م، ط1

38. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2001

39. مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي–أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت،ط2، 1986

40. ميشال زكريا، الألسنية و التوليدية و التحويلية و قواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، 1986، ط2

ب)المجلات والمقالات:

41. إبراهيم محمد إبراهيم، مناهج البحث اللغوي و مدارسه

42. أحمد محمد سالم الزاوي، الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات، مجلة كلية الأدب، القاهرة، العدد التاسع

43. أحمد كاظم العتابي، رؤية في المنهج التحويلي، مجلة كلية التربية، العدد السادس

44. أحمد مطر العطية، منهج النحويين القدامى في الميزان، جامعة الملك سعود

45. باسل فيصل سعد الزعبي، المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين، مجلة علوم إنسانية، العدد 41، 2009م

46. عبد الفتاح المصري، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية والمعاصرة، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد15-16، 1984

47. عبد الله عنبر، نظرية التوليد و التحويل بين القدرة الكامنة والأداء اللغوي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 36، العدد 2، 2009

48. مازن الوعر، لقاء مع "نوام تشومسكي"، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، العدد السادس، 1983

49. محمد الأمين شيخة، أهم المدارس اللسانية العربية والغربية، 2013

50. محمد الصماري-نور الهدى لوشن، أصالة النشأة في النحو العربي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 32، 2011م

51. محمد حسان الطيان، علم الأصوات عند العرب، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 2007

مقدمة .....أ

الفصل الأول:

ملامح الدرس اللغوي العربي

1/أوليات الدرس اللغوي عند العرب.....03

1-عوامل جمع اللغة.....03

أ-العامل الديني.....03

ب-اللحن اللغوي.....04

2- نشأة النحو.....05

أ-مدرسة البصرة 07

ب-مدرسة الكوفة.....08

2/الأصالة والتأثر في التراث اللغوي العربي.....09

1-علم الأصوات.....09

2-العمل المعجمي.....11

3- النحو.....13

3/ الأسس المنهجية في دراسة اللغة.....16

1-الاستقراء.....16

2-السماع والقياس.....19

3-المادة اللغوية.....21

4-المنهج الوصفي.....26

5- المنهج المعياري.....28

4/تداخل الدرس اللساني الحديث بالتراث اللغوي العربي.....31

1-مفهوم اللغة.....32

أ-عند العرب.....32

ب- عند الغرب.....33

2- موازنة بين "الجرجاني" و"سوسير".....34

3- نظرية العامل بين "الخليل" و"تشومسكي".....36

الفصل الثاني:

النظريات اللسانية الحديثة

1)أهم النظريات اللسانية الحديثة.....41

1-المدرسة البنوية (Structuralisme).....41

2-المدرسة النسقية(Glossématique).....43

3-المدرسة الوظيفية (Fonctionnelle).....47

4-المدرسة التوزيعية (Distributionnelle).....49

5-المدرسة التوليدية التحويلية.....53

2) تقاطع النظريات اللسانية الحديثةمع الدرس اللغوي العربي 60

1/ نشأة اللغة 60

1-نظرية التوقيف والإلهام.....61

2-نظرية التواضع والاصطلاح.....62

3-نظرية المحاكاة والتقليد.....64

4-نظرية الغريزة الكلامية.....65

2/علم الأصوات اللغوي.....67

أ- المعاجم وعلم الأصوات.....69

ب-القراءات القرآنية وعلم الأصوات 71

ج-الطب وعلم الأصوات 72

د) صفات الأصوات.....73

الخاتمة.....75

قائمة المصادر والمراجع 77

فهرس الموضوعات.....83

الملخـــــــــــــــــــــــــــــــص :

كانت من أوليات الدرس الغوي عند العرب هي خدمة القرآن الكريم من الناحية اللغوية أولا وحماية العربية من الفساد والضياع ثانيا حيث يعرف اللغة ابن الجني : (أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم) ، ويعرفها الغرب عند أندري مارتيني (إن اللغة أداة تواصل تحلل وفقها خبرة الإنسان بصورة مختلفة في كل مجتمع إنساني عبر وحدات تشمل على محتوى دلالي ، وعلى عبارة صوتية)، فمن خلال التعريفين نرى أن علماء العرب قد جمعوا في تعريفاتهم عددا من المسائل تماثل نظائرها عند الغربيين المحدثيين و هذة المسائل من خلال دراستهم اللغوية هما : نشأة اللغة وعلم الأصوات اللغوي .

أرى أن الدراسات اللغوية الحديثة قامت على قواعد الدراسات التراثية عند العرب ولا أستبعد أن المحدثين من علماء اللغة الغربيين قد أطلعوا على ما خلفه علماؤنا من الدراسات اللغوية واستفادوا منها في دراساتهم الحديثة.

الكلمـــــــــــــــــــــــات المفتاحيـــــــــــــــــة :

- ✓ الدرس اللغوي العربي القديم
- ✓ الدرس اللغوي عند الغرب
- ✓ النظريات اللسانية الحديثة